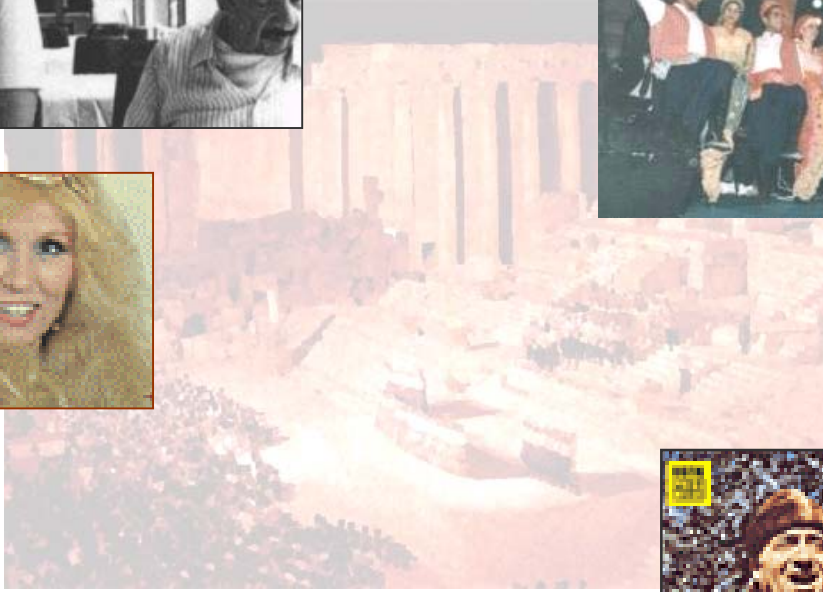
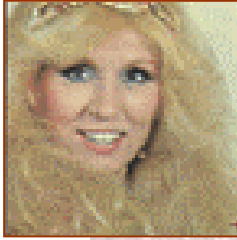


موسم العز



مهرجانات بعلبك الدولية - 1960

د. مفيد مسوح

الإهداء:

إلى زوجتي الغالية
رفيقة أيامي ..
بعزّها .. وبعصفِ ربحها ..

الملحمة الفولكلورية الرحبانية

مَوسَم العَرسِ

مزامير للعمل والحب

د. مفيد مسوح

أبو ظبي - 2004

- يا شباب .. وقّفو شوي ..

أنا بدي شيل مع أهل العريس

مسرعين ودون أيّ ترددٍ يتحرك جميع المتوجسين لينهوا مشهد الحزن البالغ الذي خيم على الساحة قبل لحظات فتزول علائم الخيبة والوجوم التي اعترت وجوه أبناء وبنات الضيعة ورجالها ونسائها ومعهم الزوار أهل العريس، الذي سبّب فشله بـ (شيل القيمة) اضطرار المختار التوجه إلى العروس (نجلا) بلهجة غنائية حزينة تكتنفها الحيرة والانكسار:

- نجلا !! .. نحنا بدنا نبقى هون .. روحي وحدك !!

ولم يخف الجمع تعجباً كبيراً ولدته تلك المبادرة من قبل الشخص القادم، ولم يكن حضوره متوقعا ولكن فرحتهم بالنتيجة السعيدة أبطلت العجب وأرجأت الاستغراب إلى حين، لمناقشاتهم اللاحقة بعد أن تستتب الأمور .. فالمهم أن يبقى العرسُ عرساً!

رفعُ العريس للـ (قيمة) باليدين إلى أعلى الرأس استعراضاً لفتوته وقوته أمام الحضور قبيل العرس شرطاً للاستمرار بطقوسه وفرحه لا يجوز التنازل عنه أو المساومة به. يعود هذا التقليد إلى مئات السنين وربما الآلاف .. وكون غالبية الناس من أهل المدن أو الجيل الشاب حتى من أبناء القرى لا يعرفونه، لا يعني أنه كان محدوداً فيما مضى .. فقد اعتاد أهل القرى في بلاد الشام في مئات السنين الماضية على ربط أفراح أعراسهم بمواسم جني المحاصيل التي تأتي غالباً في فصلي الربيع والصيف وعلى تشكيل هذه الأفراح بطقوس جميلة ذات دلالات، فامتحان قدرة الفتيان على رفع أثقال، قد تطالبهم الأيام والظروف بالتعامل معها أو مع أنقل منها، يُطمئن الأهل بأن أولادهم أصحاء أقوياء وهم رجال المستقبل ..

مباريات رفع هذه الأثقال لها من الأهمية ما تحظى به المواسم والبيت والتربية بأشكالها من عناية وهي تتطلب اختياراً دقيقاً لأثقال ملائمة من حيث الشكل والوزن .. ومما يضيف على جمالية هذا الطقس أن (القَيْمَة) ليست حجراً عادياً عديم الفائدة بل هي إحدى مقتنيات البيت المستخدمة في تحضير الطعام (جرن الكبة أو طاحونة الحبوب - الجاروشة) أو في دكّ تراب السطح دفعاً لتسرب مياه المطر عبر مساماته (المدحلة).

كانت أعراس القرى لا تخلو من تنافس شبانها طيلة فترة ما قبل العرس وخلالها .. وتكون مصاحبةً لحلقات الدبكة والتناول بالزجل (القول) وأشعار المفاخرة والغزل والوصف والحماس إضافةً للولائم العامرة بالمآكل التي تأتي التبولة وأنواع الكبة في مقدمتها وبالمشروبات الروحية المصنوعة محلياً وعلى رأسها العرق المنزلي الفاخر المثلث التقطير (مثلت).

طقوس أعراس الضيعة ومواسم جني المحاصيل المرتبطة بحياة الناس والمحاظة بهالات الحب والفرح والسلام والتعاون كانت المواد الثرية التي عرّف من جزارها الأدبيان والفنانان الكبيران الأخوان عاصي ومنصور الرحباني منذ أواخر خمسينيات القرن المنصرم ليقدموا لنا وللأدب الإنساني الخالد أعمالاً يفخر بها الوطن والتاريخ فجاء هذا الأدب شعبياً واقعياً صادقاً محفزاً على فعل الخير وحب الوطن والإخلاص لمقدساته وصانعاً للفرح والسعادة ..

من هنا جاء العمل الرحباني العظيم (موسم العز) الذي قدم في مهرجان بعلبك ثم على مسرح مدينة معرض دمشق الدولي عام 1960 باشتراك صباح ووديع الصافي ونصري شمس الدين وفيلمون وهبي وغيرهم من رواد المسرح الرحباني ومن إخراج الكاتب والمخرج المصري كامل التلمساني (1918-1972).

"موسم العز" باكورة الأعمال المسرحية الرحبانية بدأ الأخوان العبقريان بها المنهجية الواقعية في المسرح الغنائي بديلاً عن اسكيتشاتهم الغنائية السابقة فكانت بداية موفقة جعلت جمهورهم في البلدان العربية وعلى الأخص في بلاد الشام ينتظرون جديدهم كل عام في مهرجانات بعلبك الدولية ومهرجانات الأنوار ومعرض دمشق الدولي أو حفلات كازينو لبنان أو قصر البيكاديلي في بيروت وغيرها. وقد سبق للرحبانيين أن ظهروا على المسرح الغنائي في أعمال أخرى كان أولها (مهرجان عيد الليمون) الذي أصبح بعده عيداً وطنياً .. لقد سجلت أعمال الرحبانية وتاريخهم هاجساً وشغفاً كبيرين لخلق أعيادٍ لفرح الوطن والشعب خارج الإطار الديني ومفاهيم العيد التقليدي الانعزالي!

محور هذا العمل الرائع والفريد من نوعه هو الحب والعمل في الضيعة اللبنانية النموذجية التي تكونت لدى أهلها عبر التاريخ تقاليدُ العمل الجماعي المنتج المرتبط بالأرض وباحتياجات الناس وبحياتهم ومشاعرهم وفنهم. وفي الحقيقة فإن ما يميز أدب الضيعة اللبناني على وجه الخصوص ارتباطه المتين بالطبيعة ومكوناتها الجميلة المتوفرة بكثرة في القرى الجبلية ذات التضاريس المتنافرة والمتنوعة والملونة والتي تتألف عناصرها من جبال شاهقة صخرية ومكسوة بغابات الأرز والسنديان أو ببساتين الأشجار المثمرة إلى الوديان الجافة ووديان الأنهار المحاطة بالأشجار المتنوعة والسهول المزروعة والشطآن الصخرية الجميلة وضيوف كل هذه الأماكن من الطيور المتنوعة والحيوانات الأليفة إلى السماء الفسيحة وغيومها تتعانق بحنان مترف مع قمم الشوامخ من جبال لبنان الأخضر البديع.

في هذه الضيعة تعلم الأهالي على مر العصور كيف يقاثلون الصخر لتمهيد الأرض وتنظيم الحقول ومواسمها وزرعها بما يفيدهم من نباتات وأشجار وتعلموا كيف يحافظون على صداقتهم الروحية والمادية مع طبيعة انعكس جمالها على مفردات الناس وأدبهم وطقوسهم وعاداتهم وملامح الطيبة والود والجمال في وجوههم بأصدق التجليات، فكان الإنسان اللبناني الخلاق والمبدع والذي ما أن يلتقي بالجديد ويتقبله ويستوعبه ويلمُّ بتفاصيله حتى تولدَ من داخله فكرةُ الإبداع الأجدد والأفضل في أسفارٍ لا تنتهي، مداها الزمن كله ومحطاتها عتباتٌ تتلألُ عزراً وشموخاً وكبرياء في كل صفحات التاريخ الإنساني.

فلقد عرف لبنان في مراحل باكراً جداً صناعة الحرير من شرانق دود القز والتي خرجت أسرارها بأعجوبة من الصين، بلد الحرير الأول في التاريخ والذي تكتم على هذه الأسرار على مدى قرون طويلة قبل أن تتكشف حقيقة هذا الخيط السحري لشعوب الشرق الأخرى وتصلَ بعدها إلى سوريا القديمة، حيث أظهر نساجوها في ذلك الزمن مهارة فائقة في تربية دود القز وصناعة الحرير وغزله وتلوينه، وغطت بساتين القرى اللبنانية والسورية أشجار التوت بأوراقها الخضراء النضرة، غذاء دودة القز، صانعة خيط الحرير الرائع.

ومن سوريا وساحلها النشط انتشرت تربية القز وصناعة الحرير لتعم البلدان الأوروبية. في ظل النظام الإقطاعي المسيطر على الأراضي والصناعات المرتبطة بالمنتجات الزراعية كانت صناعة الحرير حكراً على كبار الملاك ورجال السياسة الذين تحكّموا بالفلاحين ومربي القز وكرسوا هيمنتهم الاقتصادية والاجتماعية واستغلّاهم للعاملين في هذه الصناعة الذين بقوا تحت رحمة المتحكمين بصناعة خيوط الحرير وتجارها وتجارة المنسوجات الحريرية. إلا أن هذا الواقع المرير لم يبلغ استمتاع الفلاحين بعملهم وإنتاجهم وما يحيط بـ (قطف الحرير) و

(موسم العز) من قدسية ومن طقوس محببة ارتبطت بها حالة الرخاء والبهجة ورافقتها مواسم الفرح والأعراس.

كنا في الطفولة نستمتع إلى حد كبير ونحن نراقب نمو شرائق الحرير المنثورة على أوراق التوت النضرة فوق أطباق مصنوعة من شرائح القصب اليابس أو قش الحنطة أو خليط التبن مع روث البقر، محاطة بأغصان (الشَّيْح) لتأمين الدفاء اللازم لتسلق وعمل الشرنقة الذي أثار إعجابنا ..

يرقات القز تلتهم ورق التوت بشراهة وتفرز فيه لعابها السحري الذي يتحول لدى ملامسته الهواء إلى خيط يلتف حول اليرقة مشكلاً الشرنقة البيضاء ذات الشكل البلحي. انهماك اليرقة بأكل أوراق التوت وإنتاج الخيط يُرهقها، لذا فهي تمر بفترات هدوء واستراحة يسمونها (الصوم) .. ومن فمها يخرج عند إنتاجها للخيط 2.5 ميليمتر في الثانية دون توقف إلى أن ينتهي عمرها القصير، وتعطي الشرنقة خيطاً يصل طوله إلى مئات الأمتار.

ونحن أطفال كنا نراقب جمع الشرائق في باحات بيوت الضيعة وتجميعها وتسخينها لقتل الفراشات داخل الشرائق وتحضيرها للبيع لتجار ينقلونها إلى دمشق أو بيروت إعداداً لتصديرها إلى أوروبا. كنا نتصور أن ربح هذه الشرائق (الفيالغ) لا بد أن يكون كبيراً بالمقارنة مع ما يتطلبه الحصول عليها من جهد ولكن ظننا خاب بعد أن أجابتنا مربيات القز بأن سعر البيوض المستوردة غالباً من اليابان وكلفة الشرائق النهائية ليست قليلة وأن الحصول على رطل واحد من الحرير يحتاج إلى ما لا يقل عن عشرين ألفاً منها والرطل بالكاد يكفي لصنع عشرة فساتين فقط أو مائة شال نسائي متوسط الطول.

نساء القرية ورجالها كانوا يعتبرون موسم القز ملكَ المواسم ويربطونه بالعز والبهجة .. البيوت التي اضطرها العجز المادي للاستدانة أيام فصل الشتاء من أصحاب الدكاكين أو المعماريين أو المرابين كانوا يسدون ديونهم من هذه المواسم فنُفِرُجُ كربئهم ويدب الفرح في نفوسهم .. ومن دفعت به الضائقة إلى تأجيل عرس من بلغ سن الزواج من أبنائه تحقق أمه مع موسم القز - موسم العز.

كانت أشجار التوت ذهباً لا تقل قيمته عن القز - الذهب الأبيض - نفسه. بساتين التوت الكثيفة جنائن لا تقل جمالاً عن بساتين الكرز والمشمش وبيارات الليمون، سُورَتْ للحماية وعُشِّبَتْ أرضها ونُظِّفَتْ أغصانها ومُشِّقَتْ أوراؤها الخضراء بعناية لتقدّم إلى القز المدلل، صاحب الفضل على الكثيرين .. من ملوك وسلاطين تفاخروا بأرديتهم إلى التجار والصناع وقد ازداد ثراؤهم باحتكار أنواع منسوجاته، حتى الفلاحين والفنانين والنساجين وجدوا فيه مورداً للعيش لا يعلو عليه مورد .. ولا ننسى دلع الفتيات والنساء والدُمُقْلَسُ الفاخرُ يتراقص على إيقاعات أجسادهن

الرشيقة ساتراً حيناً وكاشفاً أحياناً مواطن الجمال والفتنة فتتراقص قلوب الفتيان المرهفة تجاوباً مع عيونهم وقد سحرها جمال الأجساد البضة وزادتها سحراً ألوان الحرير الباهية.

العمل في المراحل الأولى للموسم الذي يستمر لمدة شهرين فقط، يقتصر غالباً على النساء اللاتي تبدأ مهمتهن بنثر البويض وتأمين الجو المعتدل الحرارة الملائم للتفقيس وجلب أوراق التوت الطرية فقط وباستمرار وحماية الديدان التي سرعان ما يبدأ تكوينها خالقاً مساحات دبيب وحيوية يزداد سحرها عندما يبدأ نسج الشرائق البيضاء على خلفيات الورق الأخضر .. لوحة تزداد الضيعة بها جمالاً ووجوه أهلها بهجة وتفاؤلاً.

وفي مراحلها الأخيرة يتعاون شبان الضيعة وفنانياتها، رجالها ونساؤها في جمع الشرائق وقتل الفراشات داخلها بالتسخين بالماء أو بالهواء الساخن أو تحت أشعة الشمس منعاً لهذه الفراشات من ثقب الشرنقة وإتلاف الخيط الحريري. ثم يقومون بتكديس الفيالج وتصنيفها وترتيبها وتجهيزها للبيع .. طقوس رائعة في العمل والتعاون وتبادل التمنيات الطيبة ترافقها مظاهر الفرح من حلقات الدبكة والغناء والضيافة والمبارزات إلى إشهار علاقات الحب أو إعلان الخطوبة أو تحديد مواعيد الأعراس ..

هذه الضيعة بطبيعتها الساحرة وأهلها المتحابين عشاق العمل والغناء والرقص وطقوس قطف الحرير كانت المسرح الذي ألهم الرحابنة لإخراج رائعتهن **مزامير للعمل والحب** وهم في بداية مرحلة تكوين الشخصية الفنية اللبنانية في الأدب الواقعي فجاءت المسرحية نموذجاً مميزاً لهذه الشخصية سيستمر الرحابنة على منواله طيلة الحقبة اللاحقة.

تتكون المسرحية من فصلين بخلاف الأعمال السابقة المؤلفة غالباً من ثلاثة فصول وقد جاءت بقلب الدراما التقليدية (بداية استعراضية - عقدة - حل ونهاية إيجابية سعيدة) وظَّفها الرحابنة بنجاح كبير في محورين متلاصقين: العمل والحب.

فالضيعة هي مجتمع أبنائها وأهاليها وساحة نشاطات أعمالهم وهمومها وملعب الفتوة والفرح واللهو وحلبة مختلف أشكال المنافسة السلمية وهي مدرسة الحب ورواياته وأشعاره وأغانيه وملتقى العشاق ومصعب مشاعرهم.

وفي هذه الضيعة تتمثل قيم المجتمع اللبناني في الحياة العملية المنتجة وفي صناعة الفرح والسلم وتكريس حب الوطن والإخلاص له والتفاني من أجل عزته وتقدمه.

بطلة المسرحية (نجلا) أحلى فتيات الضيعة الحالمة بالحب في مواسم الفرح .. صاحبة القوام الجميل والوجه الحسن والصوت الرائع الذي طربَّ به أهل القرية في لقاءاتهم وأعيادهم واهتزت بسماعه مشاعرُ الشبان الذين حلموا بصاحبته حبيبةً وشريكةً في حياتهم. لقد كان اختيار الفنانة

(صباح) لدور نجلا موقفاً إلى حد كبير نظراً لما تمتعت به من مهارات في التمثيل والغناء وهي في مجدها الفني المتصاعد ولها من العمل السينمائي والمسرحي في مصر ولبنان رصيذُ أصحاب العروش. وقد سبق أن اشتركت في فيلم كتب حوارَه مخرج "موسم العز" كمال التلمساني واسمه "سَلَمَ عَ الحبايب" قبل سنتين إي في العام 1958 في مصر.

كما أن اختيار وديع الصافي لدور (شاهين) ونصري شمس الدين لدور (المختار - فارس) زاد من غنى ونجاح وشمولية هذا العمل المسرحي المتميز والذي حصد نتائجَ باهرة في حينه بالرغم من أن النسيان طواه فيما بعد فغابت المسرحية حواراً واقتصر تداولُ جمهور صباح ووديع ونصري لأغانيها مسلوخةً عنها ولم يتناولها أيُّ من الكتاب أو النقاد بالدراسة والتحليل .. لقد ظلم هذا العمل الإبداعي الرائع حتى هذا اليوم .. فتعالوا نعشُ جماله وقيمتَه بعد أربعة وأربعين عاماً من النسيان ..

أقترح، لتحقيق المزيد من المتعة والفائدة، تكرار قراءة الدراسة إلى جانب سماع الشريط المسجل أو القرص (موسم العز).

ساحة الضيعة تنتظر بعد ظهيرة كل يوم ربيعي وصيفي فتیانها وفتياتها وزوارهم من الضيع القريبة يتقاطرون لتبادل الأحاديث والاستفسارات وعبارات المجاملة والاطمئنان عن الأهالي والمواسم ويتسايرون ويتمشون في دروبها المطلة على الوديان الجميلة أو المتوجهة إلى الينابيع يستمتعون بالمناظر الخلابة ويستشقون هواءها العليل. فإذا جلسوا تلونت حلقاتهم بمختلف أشكال الفرح والطرب والمفاخرة والتنافس.

تضعنا المسرحية في مشهدها الأول في ساحة الضيعة التي التقى فيها لإحياء العيد فتیان وفتيات منها مع ضيوفهم من ضيعة مجاورة. لحن الافتتاح تؤديه مجموعة من الآلات الوترية والنفخية والإيقاعية تصاحبها أغنية خفيفة بطريقة الأنشودة تقدم لنا الساحة والعيد وفتیان الضيعة وفتياتها:

العيدُ الساحة السهريةً تطولُ وتزیدُ

الضيعة الحلوة المضيئةً بليلة هالعيدُ

تكرر الجوقة هذا البيت كلازمة لعدة أبيات أخرى تصف الضيعة وجمالها والعيد والصبایا بلفتاتهن التي تحمل من حكايا العشق ما تسعد به القلوب وتحلو به السهرات. وقد جاء اللحن بقالب المارش الخفيف الهاديء المتموج كنسائم الربيع ليتمكن الجمع من الوصول إلى الساحة على نغماته العذبة.

ننتقل بعد نهاية الأغنية التي يشترك الجميع في أدائها إلى صورة انقسام الحضور بمرونة إلى فريقين أحدهما يمثل فتیانَ وفتياتِ الضيعة ومعهم المختار (نصري شمس الدين) وسبع (فيلمون وهبي) ومخول (منصور الرحباني) بينما يمثل الآخر ضيوفهم القادمين من الضيعة المجاورة وعلى رأسهم (عبدو)، صاحبُ الشأن في مسرحيتنا، وشاهين (وديع الصافي). يبدأ الحوار التنافسي الجميل بين الفريقين المتواجهين أمام (القيمة) تمتحنُ قدراتِ الفتیانِ العضلية:

فريق الضيعة: هايدي القيمة

الفريق الضيف: هايدي القيمة؟

فريق الضيعة: فيكن ليها؟

الفريق الضيف: فينا عليها

فريق الضيعة: ونحنا فينا

الفريق الضيف: قيموها

فريق الضيعة: منقيما

الفريق الضيف: يا الله

فريق الضيعة: يا الله ... إي مخول هي مخول هي مخول .. يا الله .. هالله هالله هاي !!

الفريق الضيف: قيموها

مخول ينجح وفريق الضيعة يدعو عبدو من الفريق الضيف ليقيمها بدوره:

- قرب يا عبدو قيما

- يا الله يا عبدو قيما

(مرهج يفاجيء الجميع متدخلا):

- ما فيك تقيما يا عبدو

(عبدو متحديا):

- تعا انت قيما يا مرهج

(المجموع مدهولاً):

- مرهج القلاعي ! .. مرهج القلاعي؟

مرهج يقيم القيمة مستعرضاً قوته ومتباهياً .. ومتحدياً عبدو الذي يحاول ويفشل

- شو يا عبدو؟

- تقيلة ومساقب سهران

- شو يا عبدو؟!

- تقيلة .. ومساقب سهران

فريق الضيعة يتشفى ويهزأ .. ومخول يتباهى بانتصاره

الفريق الضيف معترفاً بالهزيمة:

- بالقيّمات
- بالقيّمات شو؟
- بالقيّمات غلبتونا .. بالقيّمات غلبتونا .. تَعَوّتا جَرَّبَ عَ الدبكة
- عَ الدبكة ..
- يا الله .. يا الله ..

فريق الضيعة يبدأ الدبكة مع أغنية (هويدا هويدا لك) يؤديها المختار وشاهين .. والفريق الضيف يراقب باستهزاء !

الدبكة في القرى السورية واللبنانية فنٌ شعبي تراثي صاحب أفرحَ الناس كلّها منذ أقدم مراحل التاريخ فعبروا به عن سعادتهم في مناسبات الحصاد وجني المحاصيل ومواسم الحرير وسلق الحنطة وعصر العنب لصناعة العرق والنبيد إضافة إلى مناسباتهم الدينية والوطنية .. أما أعراسهم فلا تكتمل دون استمرارية حلقاتها لأيام لا تقل عن الثلاثة وتصل إلى السبعة يتكاتف فيها الصبايا والشباب مظهرين براعة في الحركات المتواترة على إيقاع الطبل وأنغام الزمر والمجوز وبمصاحبة مغنٍ أو مغنية أو فرقة فتنتر اقص كلمات أغانيهم الجميلة مع (الدبّكة) في انسجام بديع يُحيي الفرحَ في القلوب والغبطة في النفوس ويبث الحيوية في الأجساد .. حركات الدبكة فنية تقوم على التوافق الهارموني وتتطلب مهارة ودقة في التجاوب مع الإيقاع وكذلك مع اختيارات قائد الحلقة الذي يأخذ مكانه في أول السلسلة ويكون طرفها الثاني حراً وتتلون حركاته صعوداً ونزولاً وانحناءً ثم امتداداً بفتح الذراعين تعبيراً عن الرغبة في التحليق والامتداد لنشر الفرح والسعادة إلى أوسع مدى. وللدبكة وفنونها مصطلحاتٌ خاصة تميزها عن فنون الرقص الأخرى.

التنافس في القدرة على الدبكة على الأنغام الصعبة والإيقاعات السريعة تقليدٌ اعتادت عليه شلل الشبيبة في القرى وحصل بعضهم بسببها على ألقاب مثل (فلان دببِك عَ الأول). للرحبانيين فضل كبير في إحياء هذا الفن الرائع وتطويره فقد أسس الفرقة الشعبية اللبنانية التي كان إحياء التراث مهمتها الرئيسية وقدموا في جميع أعمالهم المسرحية اللاحقة عشرات الدبكات على أغاني فيروز ووديع ونصري وصباح وغيرهم وانتظر جمهور الرحابنة دوماً جديدهم في هذا المجال وكانت

فقرات الدبكة، وهي جزء من مسرحيتهم، محطات للراحة والتنفس خاصة في أعمالهم الدرامية ذات المواقف الحزينة أو المعقدة دون أن يقلل ذلك من أهمية اعتماد الدبكة وسيلة تعبيرية استخدمت ببراعة لنقل المعنى الدرامي.

يقدم مخول وسبع والمختار وأصدقاؤهم من أهل الضيعة دبكة (هويدا هويدا لك يا هويدا هويدا لي // نارك ولا جنة هلي) بجدية وبما تتطلبه الدبكة من حيوية .. يؤدي الأغنية شاهين الذي يمثل الطرف المتحدي لذا فقد حرص على أن تكون أغنيته سريعة الإيقاع كيما يصعب على فريق المختار التمشي مع جملها المتلاحقة كتيارات رياح الغرب فتقل تمايلاتهم وتخف دقات أرجلهم التي تحتاج إلى زمن يسرقه الإيقاع السريع في أبيات شاهين:

يا ويلى ويلى ويلى ويلى قصتو شعرا الطويل وقصي قصتو
يا با راحت لبوها وصي وصيتو يا با شايب ما ريدو جوز إلي
هويدا هويدا لك يا هويدا هويدا لي نارك ولا جنة هلي ..

ثم:

يا ويلى ويلى عَ الحجل رقص الحجل كرج الحجل
يا حلوة اللي عَ الحبل ضلي ضكي وتدلي

تليها اللازمة السريعة و(كودا) أظهرت ضعفاً في المهارة عند المختار (الكهل) وجماعته. فريق عبديو الضيف لم يُعجب بدبكة مخول وسبع والمختار والصبايا التي بدت باهتة عجز مؤدوها عن متابعة وتلبية الإيقاع السريع في أغنية شاهين. صرخ عبديو ورفاقه منتقدين بتحدٍ: شوها الدبكة .. شوها الدبكة ..

وبتحدٍ يتهيئون:

نحننا؟! يا الله يا الله ..

الفريق الضيف يشرع في دبكة حماسية على نغمات مجوز القصب بدون غناء وبمزيج من الحركة والتمايل وخطب الأرجل ..

ويحييهم فريق الضيعة معترفا لهم بالنصر:

- بالدبكة ..

- بالدبكة شو؟

- بالدبكة أنتو غلبتونا
- هاي ...

سبع، وقد عزَّ عليه الانكسار والهزيمة:

شوفو يا إخوان غلبنا بالقيمة غلبتو بالدبكة .. تعاو تا تُجربُّ بالقول ..
يا انتو بتبكو .. يا ..

الفريق الضيف:

مُجربُّ بالقول ..

الذي سيفتح القول هنا هو الخاسر في جولة الدبكة .. أي فريق الضيعة الذي يمثله المختار (نصري شمس الدين).

التحاور بالصيغ الشعرية فنٌ قديم رافق أفراح الناس ومناسباتهم الاحتفالية بمختلف أنواعها فحظي على حب المستمعين وإصغائهم إليه وتفاعلهم معه. وقد تطور الشعر الشعبي، الذي بقي حياً في حياة السوريين عبر العصور، بفضل مُحدثين متبنيين للتراث الشعري والأدب الشعبي وكان الرحابنة بعض هؤلاء، فقد أدخلوا في أعمالهم الدرامية عناصر هامة وشيقة من مخزونات الشعوب التراثية بعد تهذيبها وتلوينها واستخدام القوالب الحديثة والتصرف أيضاً بالكلمات. والحقيقة أن ذاكرة الشعوب في الوطن السوري الكبير كانت أمينة لهذا التراث عبر الأجيال فبقيت ألوانه عامة والشعرية منه على وجه الخصوص الزاد السخي للتعبير بصدق وقوة وجمالية عن مشاعر الناس وأحلامهم وقناعاتهم وعاداتهم الحلوة .. عن مواقفهم ورؤاهم وتطلعاتهم وعن حبهم للوطن والإخلاص له والاستعداد للتضحية من أجله ..

وللزجل وطقوسه في جبال لبنان وسوريا رونقٌ وسحرٌ وجاذبية استقطبت ملايين المعجبين. أما حلباته فقد شهدت لقاءات تنافس تاريخية سُجِّلت تفاصيلها حكاياتٍ تُلدِّدُ الرواةُ باستعراضها وتناول حواراتها بالتحليل والتفسير مما يزيد من روعة الشعر وقوته. وللزجل ملوكٌ تربعوا عروشهم عن جدارة واستحقاق ولم يقلل هذا من سطوع عشرات الأسماء من شعراء الزجل الذين يحيون حفلاته وملتقيات في أماكن مختلفة وأمام حشود الجماهير العاشقة لهذا الفن.

وحصة الزجل في الأدب الرحباني كبيرة ومتنوعة في الشكل والجوهر وقد تلونت بها أعمالهم الدرامية قبل فيروز ومعها وبعدها. لقد جادت قريحة منصور وشعراء آخرون فطاحل فقدمت

تُحَفَّأً من الحوارات الزجلية ومواويل العتابا والميجانا والقرادي والمخمس وغيرها صبغت
الدراما الرحبانية بالصبغة الشعبية التلقائية وبالصدق والشاعرية.
معظم حوارات الزجل تتركز على التفاخر بالقوة والتميز والتفوق والجمال والثراء والقدرة على
الإبداع يرافق هذا التفاخر مقارنة مع الطرف الآخر لا تخلو من السخرية والاستهتار والتحدي
ووعد الجمهور بكسر الخصم وضمان هزيمته .. ويزيد من جمال اللقاء حميئة أعضاء كل من
الفريقين وحماسهم وسعيهم للإبقاء على حالة القوة والحضور وسرعة البديهة لدى قائد الفريق
عن طريق إحياءاتهم وترديدهم وإيقاعات دفوفهم. ويتطور الحوار وتزداد سخونته مع تمسك كل
من الفريقين بطروحاته ووجهة نظره ولكن لجنة التحكيم وجمهور الحاضرين، الذي يتابع بترقب
بالغ وهو منقسم تبعاً للولاء لأحدهما، ينتظرون النهاية التي يحددها عجز فريق عن الرد على
آخر ما يقوله الفريق الآخر الذي (يقفل عليه) فتعلن اللجنة ربحه وانتصاره.

يبدأ المختار فارس التحدي بالتفاخر بنفسه وبجماعته بأبيات من الزجل:

أوف أوف ..

قالو لي في قوالة صرت معلق

وينو شيخ القوالة يحضر هلق

مجموعة المختار تردد:

قالو لي في قوالة صرت معلق

وينو شيخ القوالة يحضر هلق

فارس:

وينو شيخ القوالة يطل قبالي

نحننا من مطرخ عالي فوق معلق

المجموعة:

قالو لي في قوالة صرت معلق

وينو شيخ القوالة يحضر هلق

شاهين يرد بالقول:

أوف أوف ..

مطرحكن ها اللي مدلى وعالي مجلا

شاهين الوادي علا وفوقو حلق

المجموعتان:

قالو لي في قوالة صرت معلق

وينو شيخ القوالة يحضر هلق

زيادة في التنافس لجأ المتقاولان إلى مبدأ التقصير:

فارس: نحنا ع العالي زرنا حجار شقنا

شاهين يئنّي: حجار ثكن من مقلنا لما شلق

فارس يثلث: عشقنا العز وشو جينا لعدو حكينا

شاهين يقفل: العز اللي عشقتو فينا قلبو معلق

فارس: أوف أوف

هنا يبدو التردد والتلكؤ على وجه فارس الذي لم يمهلّه فريق شاهين:

مجموعة شاهين: جاب .. جاب .. ما فيكن مين يجاب ؟ ..

نحننا ضيعة أرجل ضيعة ..

جاب .. جاب ..

يخيّم الوجوم والقلق على أهل الضيعة ويتوجه مخول وسبع وفارس مغادرين الساحة خائبين وعائبين على المختار الذي لم يتوّج انتصارهم برفع مخول للقيمة في حين فشل عبود برفعها، بقيادة الدبكة ولا بالقول .. لقد عجز فارس على الرد على آخر ما قاله شاهين الذي لم تمنعه طبيئته من التفاخر بقوته وحسن صوته وأشعاره الجميلة ودبكة مجموعته الناجحة .. فالرد على تفاخر المختار بمصاحبة أهل ضيعة العز وعشقهم له جاء سهلاً على لسان شاهين: "العز الذي تتحدثون أنتم عنه بتفاخر قلبه معلق فينا!!!" .. وهل بإمكان شاهين الرد على هذا القول؟!

مأزق أهل الضيعة كاد أن يودي بهم إلى الانكسار والرضوخ لولا أن حلوتها وصاحبة الصوت القوي نجلا تقدمت منقذةً فتيانها، تردّهم إلى الساحة وتعيد إليهم زهوهم بضيعتهم.
تقترب نجلا:

يا شباب لوين ع الساحة أرجعو

نحننا ما قطعنا الأمل لا تقزعو

شاهين لو صوتو بيوصل ع السما

منسكتو ومنسكت رجالو معو

الفرقة تردد:

منسكّو ومنسكّت رجالو معو ..

شاهين متفاخرأ ودون اكرات:

نجلا يا بنت صغيّرة شو بتعملي

وقدام شاهين السّباع مجدلة

نجلا بثقة وعنجهية:

نحننا بنات جرود مرباها الرعود

بالسلم وردّ ونار يوم المرجلة

شاهين باستصغار:

يا بنت رُجعي والوقت سانح

أنا عفوي لكي بُها العيد مانح

نجلا مؤكدة قوتها ومتحدثة باسم أهل الضيعة التي تبادلها العشق والولاء:

مُرد العفو .. وحدك بترجع يا شاهين مقصوص الجوانح ..!!!!

يتوقف شاهين وتبتهج المجموعة وتصرخ بزهو المنتصر وقد عادت إلى الوجوه الفرحة وملأت

الساحة أهازيج الرضى من كلا الطرفين .. فقد أحيا نجلا وشاهين مشاعر الحب والصدّاقة الحلوة

بين أهل الضيعة وضيوفهم وكرسا بروعة ما قالاه الروحَ الرياضية عند المتنافسين:

نجلا وشاهين تلاقو مئو الدنيي تلاحين

نجلا وشاهين تلاقو مثل التلج وصنّين

يانجمة التندها دنيتنا ع مهلا

بدنا نسهر للصبيّة مع شاهين ونجلا ..

مع شاهين ونجلا .. مع شاهين ونجلا ..

وإذ لا بد من الاعتراف لنجلا وللضيعة بقدرتهم وبراعتهم وتجاوباً مع رغبة الفريقين بقضاء

سهرية ممتعة مع النجمين وصوتيهما العذب يبدأ شاهين، الذي أذهله صوتُ نجلا وقوتها، مؤالّه

بلحن هاديء وكلمات الغزل الرقيق معرباً عن إعجابه بنجلا ومحبته :

صوتك حلو والقلب ما بينسى

يا غرّة الـ عَ الليل مضويّة

صوتك حلو والقلب ما بينسى

يا غرّة الـ عَ الليل مضويّة

يا شلح زنبقُ كل ما بقسى

بيهدرو عيونك بعيني

(الفرقة بابتهاج وفرح السهرة والعيد يطالبون نجلا بالغناء):

حليتُ بالعيد السهرية بدنا من نجلا غنية (2)

يا نجلا يا شلح الزنبق يا شلال زهور وشلق

يا وردة مزروعة بفيّة هاتي غنية غنية

يا نجلا يا شلح الزنبق يا شلال زهور وشلق

يا وردة مزروعة بفيّة هاتي غنية غنية

(نجلا، مزهوّة بالنصر أمام شاهين وبالبرهان على كفاءة الضيعة، تشرع بالغناء وقد تألق وجهها

دلعا بعد سماع أبيات الغزل من شاهين الذي تحبه من كل قلبها وتغني له وليس لغيره):

(الموال)

تنهّد يا قلبي ودقّ عا باب الحلو

بلكي بيقتحك و هيك بتسألو

و منسألو شو بدلو شو ها لجفا

وبعدنا والعمر بعدو بأولو ... أوف .. أوف .. يا با ..

يا أمي طلّ من الطاقة و عليي دلّ من الطاقة

شلحلي فلّ من الطاقة و غمزني وفلّ من الطاقة

و يا أمي صوتو بگاني لما حاكاني

حسيّت بحالي تعبانة ومثل الفزعانة

صار يقلي مُش مشتاقة قتلنو بُكرا منتلاقي (2)

و يا أمي طلّ من الطاقة ...

قاللي من الوردة الجورية هديني شي هدية

قتلنو الناس حواليي بيشتلقو عليي

شفت الوردة حنو وراقا
مدري كيف عطيتو باقة (2)
و يا أمي طل من الطاقة ...

هذه الأغنية الرائعة من تلحين فيلمون وهبي، تؤديها نجلا صاحبة الصوت العذب والدلع الأنثوي تتجاوب معها جوقة الفتيان والفتيات مما يزيد شاهين حباً فيغني مغرماً بنجلا بحيوية يهبُ معها الشباب والصبايا إلى الدبكة حيث قدمت لهم الفرقة الموسيقية مدخلاً بديلاً عن الموال الذي أجله شاهين لنهاية الأغنية:

يا أم الضفاير حلوة والجبين العالي
مضوي جمالك مضوي مشعشع بالليالي
الكورس يردد وشاهين يعيد الكوبلة:
عيونك واللون الأخضر وقلوب تنتحسر
يا خصرك منتور مزنر شو يتخطر ع بالي
الكورس: يا أم الضفاير حلوة ..

لوحى بالغرّة الغضة زهور المبيضة
قلبي ياما وياما قضى من حبك الغالي
الكورس: يا أم الضفاير حلوة ..

موال:

يا وردة اللي ألف شوكة سورها
إلا طيور الوعر ما بتزورها
بوابة اللي كلها شمس ودفا
ياريتني يا ريتني ناطورها

ميلي ببراجك ميلي وخليكي مقابيلي
لما بايدك توميلي بيجيكي لحالي
الكورس: يا أم الضفاير حلوة ..

اختيار كلمات الغزل والإعجاب الكبير بنجلا في هذه الأغنية اللطيفة يعكس شاعرية مبكرة عن الرحبانيين أساسها التصاق هذين العملاقين بالطبيعة الجبلية الخلابة من جهة والصدق العميق في مشاعر الحب من جهة ثانية والثقافة الواسعة في الشعر والموسيقا والأدب من جهة ثالثة. هذه الأرضية خلقت عند الرحابنة إمكانيات هائلة للإبداع الفني والأدبي وقدرة خارقة على تكديس الصور أمامنا بسخاء لم يعرفه أدبٌ غنائي آخر على الإطلاق، قال عاصي:

"إن الرائع هو ما كان منسجماً ومتناسقاً مع الطبيعة والحياة".

الوردة التي تشكل سوراً لها آلاف الزهور حماية لها من العابثين وغير المرغوب بهم لها بوابة وحيدة تُدْفِنُها شمسٌ حنون .. يحلم شاهين أن يكون ناطورها !!
تختم الأغنية بلحن يتهدى مع انخفاض متدرج في الصوت يصاحب المغادرة

وتنتهي سهرة العيد .. يودع الأصحاب بعضهم البعض وتودع الضيعة ضيوفها ويغادر شاهين وقلبه ما يزال يرفرف لنجلا .. شلجُ الزنبق ذات العينين الساحرتين والصوت الحلو والصفائر المتدلّية فوق الكتفين والجبين العالي، بينما يتابع أهل الضيعة أحاديثهم عن السهرة والعيد وأغانيه وصوت نجلا وصوت شاهين وما خلقاه من فرح وسعادة ..

ساحة الضيعة في الأدب الرحباني جزءٌ لا يتجزأ من عناصر العمل الدرامي وقد استخدمها عاصي ومنصور أفضل استخدام منطلقين من مكانتها في حياة أهل الضيعة. فعلى مر العصور كانت الساحة، وهي الفسحة الكبيرة التي تقع في قلبها ومنها تتفرع الطرق إلى الحارات في أطرافها رابطة يابها بالضيق المجاورة، ملقى أهلها في جلسات الأُنس المسائية وأيام الأعياد والأعراس والمناسبات المختلفة وحتى الحزينة منها. لذا أصبحت الساحة لصيقة حياة الناس وشاهد تحركاتهم ونشاطاتهم ومخزن الحكايا والذكريات. عين الماء والطريق إليها هما الأخران عنصران جماليان على مستويي الزمان والمكان وظّفهما الرحبانيان بنجاح وجمالية ممتعة في نقل معلومات معينة أو أخبار أو في نقلنا من حالة إلى أخرى أو من زمن لآخر.

بانتهاء سهرة العيد، التي لم يعرف السيناريو مناسبتها كي يجعلنا نرى الساحة زاهية دوماً وأهل الضيعة في حالات فرح وبهجة دائمة، تنقلنا الموسيقى الهادئة إلى اليوم التالي وقد انبلج الصباح ورمت الشمس بأشعتها الذهبية على الحقول والبساتين بأشجارها الباسقة وأوراقها الساحرة الخضراء والاحضرار وبراعمها التي لم تتفتح بعد. وأول ما تنتفس الضيعة به في صباحها الباكر رحلة الصبايا إلى العين لملء جوارهن من مياهها الرقراقة الطيبة وهن يتحدثن عن سهرة العيد ويتذكرن الفرحة والسعادة:

حديث شاعري:

- شو كان مبارح هالعيد // شو زينة وشو عناقيد //
- شو غُتو نجلا وشاهين // وشو زرعو مواعيد //
- شاهين .. يهدر صوتو مثل الريح بصنين
- وهُوِّي .. مثل الشاهين

وكما كانت الحال في الساحة التي استعرض المخرج فيها عبر ألوان الفرحة وبهجة العيد شخصياته الرئيسية التي ستتفاعل مع الحدث الدرامي في المشاهد اللاحقة، قدمت لنا العين ما عندها من أسرار العشق وحكاياه. إلى العين، حيث تفت الصبايا وتتحدثن لبعض الزمن قبل العودة، يتقدم (مرهج القلاعي) الذي تتحاشى البنات الاحتكاك به والتحدث معه .. فمرهج صلوك منبوذ وليس له في الضيعة بيت ولا أرض ولا أقارب أو أصدقاء .. لقد اختار لنفسه الصلعة والتسكع في أحراج الضيعة أسلوباً لحياته عزله عن أهلها .. ولكنه ما فتىء يقترب بين الحين والآخر مُلاحقاً بنظراته الفتيات الجميلات وحسرةً تملأ قلبه الكسير فيدور الحوار المنعم التالي:

- شو قلتوا؟
- مين؟! .. مرهج القلاعي!! .. شو بدك يا مرهج؟
- يقترب معترضاً على ما سمعه من حديث لم يرق له على ما يبدو:
- قلتو شاهين!!
- شو ما سمعت تخمين؟ ومبارح بهالعيد تلاً الدني ثلاثين!
- لأ .. نجلا صوتا أطلي
- نجلا وشاهين // تنبئهن حلوين // كانوا مبارح هيك ملهيين //
- زرعو الأرض ياسمين وحساسين
- يستشيط مرهج غضباً .. فهو لا يريد أن يسمع اسم شاهين إلى جانب اسم نجلا .. بعصاه الغليظة يخط أرض العين معبراً عن هذا الغضب فتحتج إحدى الفتيات:
- طُولُ عمرك هيك يا مرهج // لافي عهالضيعة مدري منين //
- منذي إنت يا مرهج // ليش تا جرحت أرض العين //
- شو إنت يا مرهج // مرهج القلاعي //
- مربى الحراش السود // ابن القلاعي //
- صوتو حلو شاهين .. شو بينذك //

صوتو حلو نكاية .. نكاية فيك ..

غنى لنجلا وقلها تلاحين ..

زرعو الأرض ياسمين وحساسين

شو زعلك؟

بتحبها؟! بتحبها تخمين !!

يزداد مرهج غضباً فيخبط بعصاه ثانية:

- بس !!

بعد مشهد العين نستعرض مشاهد من حياة الناس وأشغالهم اليومية في المنازل والأرض والطاحونة وعلى الطريق .. تعبّر عنها الفرقة تردد بالتناوب مع (نصري) وهي تؤدي الدبكة الجماعية بحيوية تتلاءم وموضوع الأغنية ومكانها وما يتطلبه من حيوية تظهرها حركات الخفة المتناسقة، وهي من ألحان فيلمون وهبي:

عَمْتغزل عَمْتغزل تحت التينة على جرش البرغل وتلاقيني

...

عَ مَطْحنة وحده نكون سويّة ونصير نحكي ونحكي بالسهرية

إلخ ..

الأغنية في الأدب الرحباني متميزة بما تذخر به من غنى في كافة عناصرها – اللحن والكلمات والأداء.. يستمتع من يستمع إليها مستقلة عن العمل المسرحي الذي ألفت من أجله ولكن الاستمتاع يكون أكبر وأعمق عند الاستماع إلى نفس الأغاني من خلال العمل. وفي كل الأحوال لم يترك الرحبانيان ومعهم مؤلفو أغاني مسرحياتهم الخالدة فرصة إلا واستخدموها ببراعة لتحميل أغانيهم أحلى المعاني وأقوى التعبير وأجمل الصور عن حياة الناس وعلاقات المحبة والتعاون بينهم وعن قدسية الوطن وترابه وجماله وخيره الدافق وعن حب العمل والاستمتاع به وعن الفرح والمسرة. ها هو المختار يغني للطاحونة وخيرها المشرور من الطحين والبرغل وحيوية الرجال المنهمكين بنقل الحنطة والطحين والبرغل فيما تتغندر الفتيات وهنّ يغزلن الصوف تحت فيء شجرة التين، في صور لا تخلو من الإشارة إلى أيام الصيف كي تجعلنا هذه الأغنية نشعر بالزمن وقد مر بنا من العيد الأول باتجاه الشتاء فالعيد الثاني!

وتمر الأيام ..

نجلا كباقي صبايا الضيعة تتلذذ مشوار العين يومياً مع أولى خيوط الضوء تستنشق نسائم الصباح
الباردة الملونة بإيقاعات حركات الناس إلى حقولهم وأعمالهم وتمتع ناظرها بلوحات الطبيعة
الخلابة وألوانها الساحرة وتآلفاتها البديعة فتتحرك عندها مشاعر الغبطة والسعادة وتذكر الحبيب
الذي حنَّ له قلبها وقد مر زمن دون أن يسعدَ بلقائه هذا القلب الفتى العاشق فتنتطلق بأغنية فردية
هادئة ولحن حزين (اللحن لفيلمون وهبي)، مخاطبة (طير الزعرورة) تطلب منه السفر إلى
حبيبها وتسليمه صورتها والتحدث إليه:

يا طير الزعرورة .. ودِّلو هالصورة
وقلو بالقص ع العين .. علقانة شحرورة

...

قلو يطل عليّ .. وما ينسى الهدية
وعدتو بغنيّة .. وعدني بتورة

وحياتك وحياتك .. روح صوبو وحياتك
خدلو ع جناحاتك شي وردة زغيرة
وياطير الزعرورة ..

لكأن منصور في ذلك الزمن يقدم هذه الأغنية أيضاً (علقانة شحرورة) هديةً لصباح التي لُقبت بـ
(الشحرورة أو شحرورة الوادي) تكتنياً بشاعر الزجل اللبناني الكبير أسعد الفغالي.
نجلا التي تختلف عندها، كما هي الحال عند الآخرين، أيام الفرح والعيد عن الأيام الأخرى التي
ينشغل فيها الرجال بأعمالهم وتدابيراتهم المتعلقة بشؤون الأرض والبناء والتجارة والأعمال، لم
تكن تتوقع أن ترى شاهين كثيراً .. فهو من ضيعة ثانية ويتردد إليهم في مناسبات منها أعياد
القطاف ومواسم القز وما شابه ذلك. مع أنها كانت تتمنى أن ترى شاهين الذي رأت فيه الرجولة
التي أغرمت بها والشاعرية التي تتوق إلى مرافقتها والحب الكبير الذي تحلم به. في العيد
الماضي، عيد الضيعة المحبب إلى قلوب أهاليها غنى لها شاهين وتغزل بصوتها ووجهها النضر
وجبينها العالي وصفائر شعرها الذهبي ولباسها الأنيق الناعم وقوامها الفاتن .. وهي بدورها غنت
لشاهين فكان العيد الذي (ملاً الأرض بالياسمين والحساسين) ..

وما أن تهم نجلا برفع جرتها المليئة بماء العين إلى كتفها استعداداً للعودة إلى البيت حتى تحين
منها التفاتة جانبية فترى شاهين وقد قدم من بستانه البعيد حالماً برؤية نجلا فكان له ما تمنى.
حياها فرحاً بقلب غنائي منعّم معبراً عن شوقه الكبير:

- الله معك يا زنبقة بالفِي
- نجلا فرحة تبدي دهشتها وتسأل بنفس الطريقة الغنائية:
- شاهين شو جابك عَ ضيعتنا
- ما فيش بهالعين شربة مي؟
- بتسقيك وبتفرح مؤيِّتنا
- تقدم نجلا الماء لشاهين فيشرب بمتعة وتلذذ .. فالتى روت ظمأه حبيبة لها في قلبه مكانة كبيرة وتذكره بسعادة أيام مضت:
- بتتذكري بالعيد؟
- بتذكر
- غناني وحكي ونبيد!
- بتذكر
- وصوتك ضوي بشرائطو زينه
- وغمر شعرك هالمدرى غمر .. يا لفتة البعدا بتكويني ..
- وتروح تشلحني عيد العمر
- وبعد هاك العيد شو عاد صار
- لما رجعت عاضيتك شاهين
- لا شال لوْحك ولا زنار
- وضيعتك كلا حلا وحلوين !
- غمزت الشمس دراج ضيعتنا
- وشفتك يا نجلا من الشمس أحلا
- حلوين في عنا بجيرتنا
- وكل حلوة بشوفها نجلا ..
- والمحرمة اللي خدتها مني؟
- جايي أنا عَ عين ضيعتكن
- جايب معي بدالا لطلوتكن .. لوحي فيها سألني عني ..
- ولوين؟
- رايح
- هيك؟
- لا حكينا .. نحنا ولا يدري حدا فينا

- ولا بعد نتلاقي؟
- منتلاقي .. بكره عَ قطف القز لاقينا
- قطف الحرير؟
- موسم القز
- موسم العز .. قطف الحرير ..

ويقفلان معاً بلحن يمتزج فيه الحزن بالحب والتفاؤل:

كثير كثير يا قلبي كثير .. بدك تنظر موسم الحرير (2)

- غدي عَ قطف القز لاقينا
- غدي عَ قطف القز لاقينا
- لاقينا

اللقاء الشتوي الحزين، الذي قطع حلم نجلا وشكَّها بجدوى حبها الكبير لشاهين وغرامه بها باليقين الذي صارحها به، انكسر معه قلبها ولم يبق لها إلا الكتمان وطِيَّ قصة الحب البريء والعودة إلى الضيعة وجمالها وأهلها المتحابين المتعاونين والذين يحبون نجلا ويتفاخرون بها. هذا اللقاء الذي تم على انفراد لم يسمع أحد بما دار خلاله من حديث بين العاشقين إلا أن الفضوليين من فتيان الضيعة، ممن لا يروق لهم أن يروا شاهين، الغريب، وقد اختطف منهم حلوتهم، كانوا يراقبون من خلف الأشجار شاهين ونجلا ولقاء الغرام يجمعهما بعيداً عن الآخرين .. ولما كان الاثنان قد تبادلوا أغاني الحب في أعياد الضيعة فإن ظنَّهم بعلاقة الحب بين شاهين ونجلا قد ثبته اللقاء:

يتحاور الرقيبان سبع ومخول:

- هايدي مش نجلا؟
- هايدي مش شاهين؟
- ومدري شو قلا
- الهيئة متفقين
- تعا تا نخبر .. مين ما شفنا منقلو نجلا حبت شاهين!

الموسيقا تعزف لحناً تراثياً دون غناء (عبدو حابب غن دوره وغيرا ما بدو .. وهاي غن دوره مغرورة وعلقانة بعبدو) يرافق تحركات الشابين الخبيثين سبع ومخول لنشر خبر الحب بين شاهين ونجلا بالهمس في الأذان محولين إياه إلى إشاعة بين الأهالي بقصد النيل من غريمهما

شاهين وقد تخلل الموسيقى والتهاشم نظرةً من سبع لمخول وقوله: **ولّعت !** في مشهد مرح أراد المخرج أن يهني به حالة الحزن التي تركنا فيها مشهد وداع نجلا وشاهين.

إلى الربيع، حيث ستبدأ مراحل التحضير لتفقيس القز، ننتقل عبر أغنية خفيفة تقدمها نجلا الدلوعة التي يستجيبُ للـ أوف ما أن تقولها لمرّة واحدة صبايا وشباب الضيعة فيشكلوا سلسلة الدبكة، أميرةً المرح والسعادة:

عَ الليلي عَ الليلي ... زهر العاصدرك ليلي
مشمش بعلبك ما استوى .. لولا استوى جبنا ليكي

الأخوان رحباني يقدمان العمل الرائع على مسرح مدينة بعلبك الأثرية ضمن فعاليات مهرجانها السنوي .. وبعلبك مدينة مضيافة أهلها يتحلون بالكرم والجود وبحبهم للفن أما بساتينها فالخير فيها دقاق وأشجار المشمش تتراقص أغصانها بأزهارها الليلية اللون على ألحان عمالقة الفن .. والشاعر منصور الرحباني لا يوفر فرصةً يعرب فيها عن امتنانه وتقديره ومحبه لأية قرية على امتداد الوطن اللبناني الكبير فكيف إذاً مع بعلبك المضيافة الضاحكة لضيوفها على الدوام:

خيال براس الجرد .. يرمخ ويخطر بالجرد
وسألت عن لون الورد .. رثو وقالو ليكي

...

مشمش بعلبك هالسنة .. تعوّقت عَ الحلوين سنة (2)
بتحلا دني بتعبس دني .. إنتي ضحكي وضلي ضحكي

...

يا قلب يا قلب الحلو .. يا طفل يا صغير حلو
روح اشتكي منك إلو .. إلو لا تشتكي

عَ الليلي عَ الليلي ... زهر العاصدرك ليلي
مشمش بعلبك ما استوى .. لولا استوى جبنا ليكي

وتستمر الصبوحه تغني لبعلبك وزهر المشمش الليلي اللون بينما تنهي الفرقة الدبكة الجميلة وقد توجهت السلسلة خارجة من المسرح إلى الكواليس .. أما نجلا فقبل أن تترك الساحة يفاجئها صوت قادم من خلف الأشجار وحوار منعّم مفعم بالرومانسية كلماتٍ ونبرات:

- صوتك حلو نجلا
- مرهج القلاعي !!
- صوتك حلو نجلا .. تلا هالمراعي
- من أيمتي مرهج بتسمعني؟ .. من أيمتي بثحب الغناني؟
- من أيمتي ! .. من عمر ضييعني .. وبس صوتك بس بگاني ..
- من أيمتي ! .. من عمر ناسيني .. من يوم ما كنت صغيرة ..
- ولونتي هالأرض بالزينة
- مرهج يا ها الصياد مربي الحرشايات ومعاشر الدغلات ..
- تاريك كنت تشوف البنيات !
- كنت شوفك تكبري وتحلي .. كنت شوفك تكبري وتحلي ..
- تهلي ع الحفاي .. وزنارك الدافي يرقص يلوحلي
- وهج فوق صخور ... وخلف الشورة دور ..
- وحشتي لا وحشة الغابات متلا ولا الغروب ع الحورات
- وتضل بدربي
- القمطة العمثلي
- الحلوة اللي تغلي
- وتغلي على قلبي
- مرهج .. شو عمبتقول يا مرهج ؟
- لو لا بتجي وبتراقبي مرهج .. والهوا متلج ..
- والدني ضبابة .. وع كعب شي غابة ..
- بيت وجنينة وبوابة
- مرهج إنت غلطان .. لا قلبنا قلبك ولا دربنا دربك ..
- أنا مش غلطان
- وأنا ما بحبك
- ليش؟
- ليش ؟ .. مين اللي بيعرف ليش؟ .. بيريد ما بيريد هالقلب مش بالإيد
- ليش؟
- ليش .. مين اللي بيعرف ليش ..
- شاهين .. شاهين !! بتحبيه؟

- شاهين حبيتي .. جمعتُ وعطيتو .. قلبي شو بعمل فيه؟
- ليش؟
- ليش ؟ .. مين اللي بيعرف ليش

هذا الحوار الذي ولّد حالة من الاضطراب والحزن عند نجلا له ما يبرره في ثقافة القرية. كما أن له دلالاتٍ كبيرةً في سياق العمل الدرامي قصد الرحابنة من خلاله الإشارة إلى مفاهيم أهل القرى التي لا ترحم المنبوذ منهم ولا تعترف له بحقوقه كسائر شبان الضيعة .. فمرهج القلاعي شاب اختار الصيد مهنةً فأبعده عن ساحة الضيعة وأهلها وحياتها وأصبح (مُعاشر الدغلات) و(مربى الحراج) ولم تعد له مواصفات فتيان الضيعة الذين يعملون في ضوء النهار يشربون ويأكلون معاً ويعشقون ويخطبون ويتزوجون فتكون لهم منازل ومواسم .. لا بل تستكثر الضيعة عليه مشاركته إياهم الأفراح .. لقد فاجأ الجميع كلما حضر تجمعاً (مرهج القلاعي؟!) وأكثر من ذلك .. ها هي نجلا التي أتاها مرهج خلصةً بعد لقائها الفاصل بشاهين، وقد غمر وجهها الحزن، يحاورها في حبه، ترد عليه بدلع مشوب بالتحقير إذ هو مرهج الصياد الذي لا يعرف عنه أنه يهتم بالفتيات:

مرهج يا ها الصياد مربى الحرشايات ومُعاشر الدغلات ..
تاريك كنت تشوف البنيّات !

ومهما كان السبب في تحول مرهج إلى صياد خارج عن الحياة العادية لأهل القرية فإن السيناريو قصد تسليط الضوء على شاعريته غير المعترف بها. مرهج الصعلوك صديق الطبيعة والأحراج والمغامر الجريء والقوي الفخور بعضلاته المفتولة وشخصيته ذات القوة والعنفوان يحتفظ بأعماقه بشخصية الفتى العاشق الذي يحلم كسائر الشبان بدفء الحب وببيت وبستان ، فوحشته في دروبه الوعرة فوق الصخور وهروبه من الضيعة إلى الغابات كانت بسبب نجلا الصغيرة التي راقبها وهي تكبر وتحلى فكبر حلمه بأن تكون حبيبته ..

ولم لا وقلبه يزداد ولعاً بنجلا وجمالها الفاتن وغنائها الساحر .. حبه بريء وشاعريته صادقة وحلمه بسيط ولكنه يعني كثيراً بالنسبة إليه (بيت وجنيّة وبوابة).

ولكن مفاهيم الضيعة الرافضة للتسكع والصعلكة تجد عند نجلا الفرصة لتأكيد نبذها لمرهج:

مرهج إنت غلطان .. لا قلبنا قلبك ولا دربنا دربك ..

وبالرغم من هذا الموقف فإن الشاعرَ العاشق الصياد والصعلوك مرهج أثار في نفس نجلا الحيرة والاضطراب (ليش؟ مين اللي بيعرف ليش؟ بيريد مابيريد هالقلب مش بالإيد) .. وبديهيّ

أن جمهور المشاهدين تأثر بهذه الشاعرية وهذه المصارحة من مرهج لنجلا فأعاد في نفسه بعض الاعتبار لهذا الشخص المظلوم!

الصلوك في الأدب الرحباني إحدى الشخصيات المهمة والحاملة للكثير من وظائف العمل الدرامي. الروح الثورية في الثقافة الرحبانية، التي ترى في الاضطهاد الطبقي سبباً لانعدام العدل وبالتالي لما يحيط بحياتنا من مظاهر بؤس وفقر وتناحر وتمايز، تتعكس على تطور الحدث الدرامي من خلال شخصية الصلوك، حيث تعيد تلك الثقافة حالة الشخصية وسلوكيتها المرفوضة من المجتمع إلى الشروط الظالمة التي كان صاحب الشخصية ضحية لها.. وانطلاقاً من هذا المفهوم ومن الخلفية الإنسانية للرحابنة التي طبعت كافة أعمالهم يعيد المؤلفان الاعتبار لهؤلاء عن طريق توظيفهم لحل عقدة الدراما صانعاً منهم أبطالاً سرعان ما يستحوذون على رضى ومحبة من قَدَف بهم من قبل إلى درك الانعزال. ربما كانت شخصية مرهج القلاعي هي شخصية الصلوك الأولى في الأعمال الدرامية ولكنها اعتُمدت مراراً فيما بعد لتنتهي العقدة أو لتكون الجسر الذي يصعد على درجاته الحلُّ الرحباني (ملهب المهرَّب في مسرحية "يعيش يعيش" والبياع في مسرحية "دواليب الهوا" والحرامي والشحاذ في مسرحية "المحطة" إلخ..).

شاعريّة مرهج وحبُّه الصادق وقلبه الذي يخفق محبةً لنجلا وتعلقاً بها لم تحلّ دون انكسار حلمه في نهاية أوصدتْ نجلا الباب فيها أمامه وهو خائبٌ (لا قلبنا قلبك ولا دربنا دربك) وهي مذهولة وحزينة (بيريد ما بيريد هالقلب مش بالإيد) .. فشاھين الذي تحبه لن يكون لها .. ومرهج الذي يحبها لا يمكن أن تكون له .. ولا بد إذا من قبول الواقع .. وليكن لنجلا أيُّ عريس من شبان القرية أو القرى المجاورة وهم أيضاً مولوعون بحبها !!

على الجانب الآخر .. شاھين، الذي تقدم به السن، يخطط للزواج والاستقرار وهو لذلك يستشير قلبه، بعد أن أبعد عقله عن فكرة خطبة نجلا التي يحبها، بسبب فارق السن بينهما:

سألنا القلب شو بتطلب .. قال بدو الحلوة اللي هيِّي

سألنا الحلوة شو بتطلب .. قالت عمرلي عليّة

ننتقل مع هذا المشهد إلى الفلسفة الرحبانية في مكانة ودور الزواج والأسرة الجديدة في تكوين المجتمع عبر أغنية (عمرّ يا معلّم العمار)، فشاھين الذي ينهي للزواج لا بد له من بناء (أوضة ودار) كي (يرتاح القلب بفيئتها) و تغزل البنيّة ذات الزنار خيوطها على عتبة هذه الدار .. بقي

إذاً أن يسأل شاهين عن معماري ماهر مثل ذلك الذي بنى (البيت اللي مزتر ... والحارة الخلف الدوّارة .. والدوّارة الخلف الحارة) وبعد أن يتساءل الأصدقاء (شو الظاهر فيها وما فيها !!) ينصحونه بـ (سليمان اللي من ضبيّة) فهو شيخ المعمرجيّة الذي بنى كل البيوت (مافي بيت ولا عليّة إلا شغل سليمان اللي من ضبيّة) ويذهب وفدٌ إلى سليمان الذي يجيب بدون تردد (يكّرم إيه) .. وتتطلق الأغنية الجميلة الوطنية يؤديها وديع مع الفرقة في دبكة حيوية تصرخ بأعلى صوت:

عمّر يا معلّم العمار وعلّي حارتنا ..
عمّر لي شي أوضة ودار بتعمّر دنيّتنا
عمّر تا نعمّر لبنان .. ويعلا ع الغيم البنيان
وسيجّ تانسيجّ بزهور .. بورد بتقاح برمّان
تعلّا عمار وتضوي قمار و عمّر يا معلّم العمار
عمّر تا نعمّر لبنان .. ويعلا ع الغيم البنيان
هالمرّة سيّجّ بزنود .. بقلوب بعزم بإيمان
شقق حجار خلاق فكار و عمّر يا معلّم العمار

وسليمان من قرية الضبيّة اسم لمعماري تعرفه منطقة (زوق مكاييل) وما يحيط بها وصولاً إلى (عمشيت) وما زالت الأحاديث حتى اليوم عن مهارته والعمارات الأصيلّة الجميلة ذات الأقواس والقباب والقناطر العالية والمنحوتات التزيينية التي اشتغلها وأشادها مع فريقه من حجر لبنان الكلسي الأبيض. وهنا يُسجّل أيضاً للرحبانيين واحدة من التفاتات الوفاء لأناس ذوي فضل أو لمناطق وقرى وبلدات تأكيداً منهم على الشمولية الوطنية في مسرحياتهم الشعبية.

أغنية شاهين أثارت شبان الضيعة ظناً منهم بأنه يحضر نفسه قبل الموسم ليعلن خطوبته على نجلا، حبيبة قلبهم وهم يرفضون أن تكون لغيرهم، فهذا سبع يبتدع فكرة لعرقلة العرس .. فإن كان لا بد لنجلا من أن تكون لشاهين فليكن عرسهما باهتاً:

سبع: **وكّ يا مخول**

مخول: **إيه**

سبع: **شاهين أحسن منا؟**

مخول: **لّه**

سبع: **مش نحنا أحق بنجلا؟**

مخول: إيه

سبع: بدك ياه ياخدا؟

مخول: له

سبع: عفاك

ناطرنى؟

مخول: إيه

سبع: تعبان؟

مخول: له

سبع: هيه .. في عندي خطة فرجة .. بدنا نخلي عرسن يطلع ما إلو رهجة

مخول: كيف؟

سبع: هاه !! قرب تاكلك .. روح تمرلي ع قيمة ثقيلة ما يكون حدا فيه يقيما

ويوم العرس منشلح القيمة بالأرض .. والرجال يقيما

مخول: إيه

هذا المشهد وما تلاه من حوار يشير إلى الرغبة الدفينة في نفوس شباب الضيعة لإبقاء حلوتهم نجلا فيها.. تلك الرغبة التي لن تتحقق لأن مجتمع هذه القرى اتسم بشيوع المفاهيم التقدمية تجاه المرأة وحريتها في اختيار شريك عمرها فلا يفرض الأهل على ابنتهم عريساً أو يحرمونها من رغبتها في الزواج بمن تحب. سبع ومخول يظنان أن العيد القادم على الأبواب سيشهد عرس نجلا وشاهين وهما لا يشكان في حقيقة أن الأمر يتعلق بنجلا فقط .. حالة الغيرة والإحباط عند الشاب الخبيث سبع تركت له فرصة وحيدة للتعبير عن عدم ارتياحه بأن يحرص مخول و يتفق معه على عرقلة إتمام العرس. والتقليد يشترط، كما قلنا، أن ينجح العريس بـ (شيل القيمة) للاحتفال بالعريسين وإلا فإن (العرس بيوقف .. ونجلا بتروح بلا عرس .. بلا إي ويها) كما شرح سبع للفتاة التي ستفتتح حفلة العرس. لذلك يسعى الخبيثان لاستبدال القيمة المعهودة بواحدة ثقيلة أملاً بفشل العريس وإيقاف حفلة العرس. والزواج بدون عرس مليء بالأغاني والهلاهيل والرقصات والدبكة والمبارزة بالسيف والترس لا يشفي قلوب الشبيبة ولا تكتمل فيه سعادة الحالمين. بهذه الطقوس الرائعة المرافقة لأعراس القرى يكتسب الزواج صفة القدسية التي تجعل من المؤسسة الأسرية رابطاً لا تنفصم عراه بسهولة .. فبالعرس الذي تسجله ذاكرة الضيعة ويستعيده صداها في زوايا التفاخر ومنعطفات الأيام يتأكد الحب الذي على أساسه يقوم الزواج وتأسيس الخلايا الجديدة في مجتمع السلام والمسرة.

أما نجلا فإن لديها من الأسرار ما تتكتم عليه .. وهي ليست مضطرةً هنا للمجاهرة بأن الحب الذي يجمعها بشاهين ليس بالحب المثمر وإنما هو حبٌ عذريُّ أساسه عشق الوطن وملء الأيام بالسعادة والجمال والفن وتكريس المحبة بين الناس .. وما سيكشفه العيد مختلفٌ تماماً عن ظنون سبع ومخول وما نشره من شائعات. وتبقى لشاهين مكانته الكبيرة في نفس الفتاة ذات الشخصية القوية التي ترد على سبع القادم إليها محاولاً النيل في حديثه من شاهين فأوصله جُبْنه إلى حالة من التلعثم والتردد بينما قابلته نجلا بعدم الاكتراث .. تتدخل الفرقة لتقدم لنا حوارية ثنائية تضيف بصورها مزيداً من الضوء على المفاهيم السائدة فيما يتعلق بالحب والزواج ومعايير القبول والرفض والاختيار. فالشاب الذي يتفاخر أمام إحدى الفتيات بقوله:

- أنا أهلي ربُّوني .. لوز وسكر طعموني

لولا بطلب ست الحسن .. ست الحسن بيعطوني

عنا مزارع عنا ضياع .. ومطرح ما بقى تساع

أنا أهلي ربُّوني .. بيدنيا بساتينا وساع

يجدها لا تهتم لثرائه ورعاية أهله وهم كبار ملاك الأراضي فتقابلة بالاستهتار والتمسك بأهم ما تؤمن به كشرط للزواج وهو الحب:

- أنا أهلي ربُّوني .. عَ الخبزة والزيتونة

ومش رح أخذ إلا شب .. كون بحبو ياعيونني

نحن ما عنا بساتين .. عنا دوارة ياسمين

ما مئامن غير بالحب .. وحاجي تتعب يا مسكين

بهذا المشهد يختم الرحبانيان الفصل الأول من الملحمة بعد أن وضعنا في جو القرية ومجتمعها بعناصره ومفاهيمه وفي مكانة الحب ودوره في حياة الناس وسعادتهم. فما قدمناه من حوار وأغانٍ ودبكاتٍ وصور ببراعة فنية فائقة الإبداع أخذتنا عبر منحوتاتها ولوحاتها وفضاءاتها الرحبة إلى أعماق خبايا الذاكرة وحكايا التاريخ.

ويأتي الربيع .. ضيفُ لبنان العزيز يُسعدُ بألوانه وألحانه أهاليها وجبالها وبساتينها وشطآنها ولغبطته لا تراه يستعجل الرحيل فيمتد بحسنه وبهائه على حساب الصيف الحار باعثاً في نفوس اللبنانيين وضيوفهم المزيد من الفرح والحب والسعادة.

وأول ما يبشر به الربيع أخضرُ أوراقه الذي يأتي شجر التوت في مقدمته فنتسابق الغصون الطرية الغضة انبساطاً وكأنها تقدم نفسها بنزاهة وكرم لتكون طعاماً لدود القز الذي ينتظر

الوجبات الطيبة يلتها بشرافة تخال معها عشقاً يسعدُ به ورق التوت مثلما يسعدُ القز وهو منهمكٌ يحضر نفسه لتقديم الخيط المقدس. في هذا الجو الربيعي الساحر يمتزج التعب بالفرح وتترافق مشاعر الاستمتاع بالأمل والتفاؤل وبالأحلام التي أقلُّها البجوحة .. فما بالك إن هي ارتببت بالأعراس!؟

عبر الأغاني نستعرض مراحل العمل في دود القز الذي أصبح الآن جاهزاً لك (قطف) يتقاطر الأصدقاء من القرية المجاورة بأريحية ومحبة لك (عون):

- عَ العونُ يا شباب عَ قطف الحرير

نسمعها من أحد رجال الضيعة موجهة إلى جميع الأصدقاء في حارات الضيعة وبساتين أصدقائهم من الضيعة الجارة معلنة البدء بموسم القطف الذي يسعد به المتعاونون وقد راحوا يجمعون شرائق الحرير بهمة ودقة وفرح لساعات طويلة يتخللها الغناء والرقص والدبكة وتبادل أجمل عبارات المودة والسعادة بالخير يتدفق ذهباً أبيض.

يبدأ الفصل بصرختين متبادلتين من نجلا وشاهين تعبوا الوادي ويرتد الصدى مرجعاً معه الجميل من الذكريات:

- شاهين

- نجلا

كلاهما بشوق بالغ ينتظر الآخر .. ألم يقل كلاهما للآخر عند العين (بكره عَ قطف القز لاقينا) وهما يعلمان بأن موسم القز لن يكون عيداً بدون أغانيهما الجميلة. ويسرع الشباب والصبايا تلبية لطلب جامعي القز.

اللحن الذي اختاره عاصي لأغنية قطف الحرير أحد الألحان التي تظهر فيها البراعة المبكرة لهذا الموسيقار الكبير الخالد. فالـ (أليغرو) الذي تقاطر معه القادمون للعون من كل صوب صوراً بنجاح حالة الانهماك التي أمنتِ القلبَ الذي مر الزمن من خلاله، إضافة إلى تسلسل كلمات الأغنية الرائعة يؤديها نصري ووديع وصباح ببراعة وعذوبة وسرعة واختصار مما جعلنا نقبل بسهولة الانتقال السريع إلى تجهيز المحصول وعرضه على المشترين. قدرة خلاقة عند العظميين عاصي ومنصور وعند المخرج الكبير كامل التلمساني ومهنية نادرة في ذلك العصر أحدثنا دويماً في عالم المسرح الغنائي العربي الوليد وارتقت بالمشاهد والمستمع العربي إلى مستوى عالٍ من الذوق الرفيع والتفاعل مع الحدث الدرامي إلى درجة أصبح من الصعب على المسرح الغنائي الرحباني أن يقدم أعمالاً أقل إبداعاً .. لقد خلق هذا العمل بالذات مشاهداً يطالب المبدعين بالجيد فقط ولا يقبل دون ذلك. وقد اعترف الرحبانيان بما أحدثاه من ثورة في عالم

الإبداع الغنائي المسرحي وعلموا وأقروا بأن عليهم فعل الكثير من أجل الاستمرار في كسب رضى مشاهديهم المتميزين بالثقافة العالية والحس السليم والذوق الرفيع.

الجوقة تغني: **عَ الشيخ القزُّ ياطير اللي بالحقلة .. والموسم عزُّ والحلوة نقلة نقلة (2)**

فديدان القز التي سكنت منذ أسبوع زوايا التفرع في أغصان الشيح البنية اللون والعارية من الورق وعملت بنشاط وهمّة في حياكة الشرنقة البيضاء أكملت عملها الآن وقد حبست نفسها في الداخل ضحية لإسعاد الناس بحريز تبتهج برونقه القلوب. وهاهي الشرائق تملأ عيدان الشيح مكونة لوحاتٍ خلابةٍ ومناظرَ بديعةً ستستمتع الأيادي الناعمة بالتقاطها برقّةٍ وحنانٍ واحدة واحدة ثم تتراكم في الأواني لتأخذ طريقها إلى مراحل التسخين فالتجفيف فأكياس الغلّة بانتظار التجار . والجوقة هنا تحذر الطيور من الاقتراب من القز المنشور والذي يغريها بياضه الناصع .. وتجنباً لحملات الطيور المخربة يصنع أصحاب القز تماثيل من الأغصان والملابس (فزاعات) توهم الطيور بوجود أشخاص قرب القز فتخشى الاقتراب.

غناءً جميل تتوافق ألقانه مع إيقاعات الحركة وتواتر العمل وتزينه ألوان الوجوه تنبض بالحياة والقز الأبيض سعيدٌ بالأكف التي تحتضنه بحنان وكأنك ترى الفراشات داخل الشرائق تشارك القاطنين فرحتهم وتتراقص على أنغامهم العذبة.

المختار: **شوفو عَ العالي ..**

الجوقة: **الله ..**

المختار: **موسمنا الغالي ..**

الجوقة: **الله ..**

المختار: **وتلوح قبالي ..**

الجوقة: **الله ..**

المختار: **غمار الحرير والنقّلة خلف النقّلة**

الجوقة: **عَ الشيخ القزُّ ياطير اللي بالحقلة .. والموسم عزُّ والحلوة نقلة نقلة**

شاهين: **الله يعافين**

الجوقة: **أهلا ..**

شاهين: **جينا نساعدكن**

الجوقة: **أهلا ..**

شاهين: **ونغني معكن**

الجوقة: **أهلا**

- شاهين: بقطف الحرير ما بعمر و منحمل نقلة
- الجوقة: عَ الشيخ القزُ ياطير اللي بالحقلة .. والموسم عزُ والحلوة نقلة نقلة
- نجلا: اليوم الحبايب عنا .. والملقى طايب عنا
- والسكر دايب عنا ولبس الحرير بنتشوفو شو بيبلقلي
- الجوقة: عَ الشيخ القزُ ياطير اللي بالحقلة .. والموسم عزُ والحلوة نقلة نقلة (2)
- جوقة الرجال وقد وصلت إلى نظرهم إطلالة وفود التجار قادمين من بيروت لشراء الحرير:
- جوقة النساء: طُأوا الشراية
- المختار: لاقوهن
- جوقة النساء: وصلوا الشراية
- المختار: حاكوهن
- جوقة النساء: أهلا وسهلا بالشراية .. الحرير محسّن للغاية (2)
- جوقة الرجال: أبو حمزة .. أبو حمزة ..
- جوقة النساء: أهلا وسهلا بأبو حمزة

وبعد تبادل عبارات التحية والشوق، كلاماً منغمماً يعرب أبو حمزة، وقد تلاً القز أمامه، عن إعجابه وقراره شراء الموسم كله:

أبو حمزة: بدنا كل الموسم

الجوقة: ياالله

أبوحمزة: بعنوا؟

الجوقة: بعنا

ويبدأ عد أكياس فيالج القز ووجوه أصحابه تفيض بالسعادة والفرح، أما أبوحمزة فلا يخفي رضاه الذي لا يكتمل دون الحلويات هديّة الموسم (الحلاوة الجوزية) يقدمها المضيفون بينما يطالبه المختار بـ (ردّة حلوة بيروتية)

ويبدأ الاحتفال بالموسم بحضور التجار .. لقد أراد الرحبانيان الإشارة باعتزاز إلى حُسن العلاقات بين أهل المدينة ملوك التجارة وأهل القرى ملوك القز عبر السهولة والنعومة في إنجاز عملية الشراء وكذلك من خلال جو الفرح الذي أعقبها وقد امتلأ بالأغاني والدبكة والرقصات الجميلة.

كَمْ هائل من المعاني تحمله الوصلة الغنائية التي تتالت بمواليها وأبياتها وحوار المغنين مع الجوقة. لقد جاء وقت الراحة والاسترخاء بعد عناءٍ ومحصولٍ وخيرٍ دافق. تفتتح الاحتفال نجلا ببيت:

أوف أوف أوف أوف

يا وردة من فوق العين .. هادي بزرك هادي

ويا عين فوقك وردة .. قوِّي نبْعك بزيادة

هكذا هي الأمور في شعر منصور حين يمتزج غناء الفرح بالصلاة .. الصلاة للأرض كي تزيد من خيرها والصلاة للنبع كي يزيد من تدفق مائه الطيب .. والصلاة للمواسم استزادةً لوافرها الذي يبعث السعادة والمسرة في النفوس .. أليس هذا ما يتمناه الناس الطيبون لأنفسهم وللآخرين!! أما شاهين، الضيف والصديق والمحب فلا يخفي فرحته بتوفيق أحبائه، فينشد مواله البدوي:

سَقالله يوم بثصيروا لنا قراب .. ونملي من منابكن لنا قراب

ما تقولوا لنا أهل ولنا قراب .. وبعدن طيبين وبالحياء ..

يا باي .. يا باي ..

تتبعه نجلا بموال من نفس النمط تظهر فيه براعتها وقدرات صوتها الرخيم ونفسها الطويل:

حلو يامن بأرض الدار خطيت .. على ذبحي حبر ع وراق خطيت

وانت يا من بسود العين خطيت .. الحبيس ال طول عمرو ما خطي

يا ويل ويلي يا ويلي ..

يجيب شاهين مخاطباً الليل بموال لبناني:

يا ليل يا ما فيك غنيا .. زرنا الحكي الطيب حوالينا .. (2)

نصلي لضحكة (2) نندر السهرة .. نسقي الحلا من دموع عينينا

يا باي يا باي يا با ..

نصلي لضحكة نندر السهرة .. نسقي الحلا من دموع عينينا ..

أوف أوف ..

عيونك ...

وينقل من الموال إلى أغنية من تلحينه وكلمات منصور:

عيونك أهدوني ورميوني

وع آخر دنبي ودوني ومن آخر دنبي جابوني

وما بعرف وين شلحوني .. عيونك

الجوقة تردد اللازمة: عيونك أخدوني ورميوني

وعَ آخر دنبي ودوني ومن آخر دنبي جابوني

وما بعرف وين شلحوني ..

من أجمل ما قيل في الغزل الغنائي:

عيونك يا بحيرة ميّ ورد وزنبق غمزائن

مرّة بيحئو شويّ مرّة بتقسي لفتانن (2)

خايف دخلك لينسوني وإغرق بالمّي وينسوني عيونك

الجوقة: أخدوني ورميوني

وعَ آخر دنبي ودوني ومن آخر دنبي جابوني

وما بعرف وين شلحوني ..

وديع: عيونك يا حدّ السيف ومدهبّ يغنيّة

مرّة بيكونو صيف مرّة فيهن شتوية (2)

ما دامن رضيو وحبوني لشّت بالآخر جرحوني عيونك

الجوقة: أخدوني ورميوني

وعَ آخر دنبي ودوني ومن آخر دنبي جابوني

وما بعرف وين شلحوني ..

لا شك بأن الأغنية موجهة لنجلا حبيبة قلب شاهين وهو يرى جمال الحياة في وجهها البريء

وعينيها الساحرتين اللتين ساحتا العالم به وتركتاه في هيامه عاشقاً كسير القلب!

الفرقة تنتبه إلى أن الاحتفال بدأ يأخذ منحى المعاناة الشخصية بين الحبيبين نجلا وشاهين

فأرادت، احتراماً للضيوف، العودة إلى جو العيد الكبير.. موسم الحرير!

الجوقة: وان كان بدك تعشق .. تاجر بالحرير

والعشق يا عيني .. بدو مال كثير

هذه الأغنية فولكلورية خفيفة معروفة قبل المسرح الرحباني وقد ردها المحتفلون بأعراسهم

ومواسم القز .. أعاد عاصي توزيعها دون الابتعاد عن النغمة الأصلية وقد أدتها الفرقة مع نجلا

ممهدةً بها لأغنية من تأليف منصور أضافت بلدة كلماتها ونعومة لحنها متعة للعيد والضيعة

وضيوفها.

نجلا: ناسي يا حبيبي شو رحنا مشاوير

حبك يا حبيبي .. كثير كثير كثير

الجوقة تردد:

وان كان بدك تعشق .. تاجر بالحريير

والعشق يا عيني .. بدو مال كثير

وانتقال فوري إلى أغنية تفيض نعومةً وأنوثة شيقة:

كيف ما بعمل تعبانة .. وبين ما بقعد فز عانة

الهوا شو قليل الزوق .. بيطيّر لي فستاني بيطيّر لي فستاني

الجوقة تردها كلازمة

نجلا: لبست الفستان الحريير .. حلو كثير كثير (2)

بس كيف ما بعمل بيطيير .. هالفستان مربّاني

بس كيف ما بعمل بيطيير .. هالفستان مربّاني هالفستان مربّاني

الجوقة تردد اللازمة

نجلا: فستاني من وراق الورد .. مسوسح الساحل والجرد (2)

بلبسو بعز البرد .. وبقى مئيش بردانه

بلبسو بعز البرد .. وبقى مئيش بردانه .. ببقى مئيش بردانه

الجوقة تردد اللازمة

نجلا: قلبي يا فستان عليك .. رقصو القلوب حواليك (2)

انضلّ الهوا يعمل هيك .. رح ضبّك بالخرانة

انضلّ الهوا يعمل هيك .. رح ضبّك بالخرانة .. رح ضبّك بالخرانة

الجوقة تردد اللازمة ثم تردها نجلا داعية أبا حمزة ومرافقيه لرقصة الحريير .

ما أجمل هذه الأغنية التي عبرت فيها الفتاة نجلا عن حبها للحريير والفستان الحرييريّ تتراقص أطرافه الرقيقة وقماشه الناعم على قدّها الرشيق فيزداد كلاهما حلاوةً وإعجاباً بالآخر ولكنها لم تخف حرجها من مداعبة الهواء ونسائمه الفضولية التي تحاول أخذ أطراف الفستان على أجنحتها فتتعب نجلا الخجولة وتقرعها .. أما الجوقة فلم تكتف بالموسيقا الآلية ترافق أصوات الشبيبة بل أضافت عنصراً جمالياً يسجل إبداعاً آخر وليس أخيراً للرحابنة تمثل باستخدام إيقاعات الكفين بتصفيقة سريعة توافقت مع اللحن إمعاناً في وصف حالة الفرح الجماعي. التصفيق المنعم صاحب أغان أخرى واستخدم وسيلة للتصوير الإيقاعي في مسرحيتنا الرائعة.

أما التاجر أبو حمزة وجماعته فقد قاموا إلى الساحة وسط تشجيع الشبيبة يؤدون الرقصة الرجالية الذي تحولت إلى دبكة على لحن أغنية (طار الحريير طار)، يؤديها شاهين والجوقة بمصاحبة الموسيقى ترافقها إيقاعات الكف السريعة وأهازيج الفرح ولا لا لا، فاللحن الأساسي يبدأ الزمّر القصي فالأكورديون فالوتريات فالأوركسترا مجتمعة دون أن تتوقف (زقفة الكفين) :

طارُ الحرير طارُ .. رفُ عصافير طارُ.. (2)

يا ورد مزوزق يا زنبقُ .. عَ سياج الدار طار (2)

شاهين وجوقة الرجال:

عَ التوت العالي المخضرُ .. عَ شرانق تضيوي وتسمرُ

عَ طباق تدور ومدكوكة من قصب ناري مصفرُ

جوقة النساء تكرر البيت ثم تتبعه بالمزيد من الكلمات الجميلة والصور البديعة.

وأخيراً وبالتبادل مع شاهين:

لوح ياحرير .. لف الدنيي وطير (2)

لوَّحُ لوَّحُ لوَّحُ لوَّحُ ياحرير

...

ياحريير !! ...

ينتهي مشهد الحرير والموسم وتسويقه الذي يبدأ معه خير الأهالي في القرى التي جنت ما زرعت الأيادي الطيبة .. هاهو المختار يدخل بيت العروس نجلا يطمئن عن الحال والتحضير للعرس حيث يرينا هذا المشهد شباب وصبايا الضيعة وهم منهمكون بتحضير كل مستلزمات العرس والحفلة والرقص وحلقات الدبكة مستعرضاً المزيد من صور الفرح والبهجة التي عادة ما تسبق وصول العريس والعروس ..

مختار الضيعة في الدراما الرحبانية عميدها والأب الروحي لأبنائها بكل ما تحمله الكلمة من معانٍ سامية وما تتطلبه من رعاية واهتمام. لهذه الشخصية مكانة غاية في الأهمية في تطور الحدث الدرامي ولا بد لهذه الشخصية الإيجابية من التخصيص بأجزاء مهمة من السيناريو تلائم حاجة الدراما إلى تداخلات وحلول ثانوية وحل نهائي للعقدة الأساسية، ما لم تُسند هذه المهمة إلى شخصية أخرى مساعدة.

كثيرة هي الحالات التي اعتمد الرحابنة فيها على الفنان الكبير نصري شمس الدين للعب هذا الدور الذي يتطلب مهارة من نوع خاص ومواصفات شخصية برع في تقديمه الفنان القدير الذي رافق الرحبانيين في عمليهما مع الفنانة صباح (موسم العز ودواليب الهوى) وفي أعمالهما الأخرى مع فيروز حتى وفاته المبكرة على خشبة المسرح في الأردن عام (1985) فكان المختار الذي أحب أهل ضيعة وأخلص لهم وساعدهم بحل مشاكلهم والتوفيق بينهم إن حصل خلاف في قضايا إرثٍ أو حب أو ما شابه ذلك وأحبوه ووثقوا به وتلذذوا بحكاياه وطلبوا حكمته والتزموا بما توصل معهم إليه من اتفاقات.

هنا، في موسم العز، وبالرغم من وجود أهل نجلا إلى جانبها قبل العرس وخلالها فإن دور المختار كأب روعي لنجلا يظهر في جميع المشاهد اللاحقة:

- كل شي تحضّر؟
- كل شي تحضّر
- كل شي تجهّز؟
- كل شي تجهّز
- أكل عملتو كفاية؟
- عملنا
- النسوان تشهّل بالكبّة
- الكبّة خلصت ما بقى إلا نجبلها
- أهلا وسهلا .. أهلا وسهلا .. أهلا أهلا
- وأيا ساعة بيوصل العريس وأهلوا؟
- العريس وأهلوا العريس وأهلوا؟
- العروس وأهلوا ما بقى إلا يوصلوا
- أهلا وسهلا .. أهلا وسهلا .. أهلا أهلا
- هيبّو القيمة؟
- هيبّنا
- وين الدبّكة؟
- بالساحة
- وين السيف؟ وين الترس؟
- ع سلاحن تحت الإشارة
- والعروس زينتها؟
- نجلا العروس رفيقاتنا الصبايا عميحنّوها

هنا تطلع الفرقة باللحن الفولكلوري (زفّة العروس) وهو لحن لا يخلو منه عرسٌ في شرقنا يعتمد الدفّ والصنج والزممر بشكل أساسي ويأتي بقلب المارش البطيء تتمختر العروس ووصيفاتها والموكب على نواته الهادئة (وتمخترى يا حلوة يازينة) .. تنتقل بعده الفرقة الموسيقية لتعطينا (لحن المناديل) الجميل والمليء بإيحاءات الفرح وهو محورّ عن اللحن الأساسي للمسرحية لا يلبث أن يعود إليه وقد انطلق الشبيبة إلى الرقص والدبكة والأهازيج والزلاغيط والإيقاعات

الملونة بالتصفيق وخطبات الأرجل، إيذاناً ببدء العد التراجعي .. فما هي إلا ساعات ويظهر موكب عريسنا القادم من الضيعة الجارة والتي يربطها بضيعتنا الكثير من الود وتسود بين أهالي الضيعتين روح التعاون والمحبة التي ستكرسها القربى (ضيعتنا صارت ضيعتكن).

لم يجهر السيناريو باسم العريس حتى الآن، ربما عن قصدٍ أراد المؤلف أن يترك لنا حرية التخمين، فتسلسل الأحداث أشار بما فيه الكفاية إلى انتقاء فكرة الوصول بالحب الكبير بين نجلا وشاهين إلى زواجهما .. العريس إذاً شخص آخر غير شاهين!!

أما سبع فما زال الغلُّ في صدره يأكله، كان العريس من كان طالما أنه ليس من الضيعة نفسها .. فكم من الصعب عليه وعلى أصدقائه أن يروا نجلا وقد زُفَّتْ إلى خارج الضيعة فما عادوا يرونها ويستمتعون بطلتها الغالية وجمالها وصوتها العذب.

ها هو يتسلل إلى بيت العروس ويدعو الفتاة التي ستقدم الاحتفال:

- تعاي !! .. مش رح يطلع عرس مليح

- شو بدك أحسن من هيك؟

- هيدا كله شيخ بريح

- ليش ليش اسم الله عليك؟

- لما العريس بيوصل .. هوِّي وأهلو ع الساحة

ورجال بتوقف لرجال قبال عيون الدبّاحة

منرمي القيمة بالميدان .. ومنقيما قيمة فرسان

ومنقلن ياهل العريس .. قيموها انكننتو شجعان !

- و تانفرض ما قا موها؟

- هي هيه .. تانفرض ما قا موها .. العرس بيوقف يا توها

ونجلا بتروح بلا عرس .. بلا إي ويها هاه هاها !!

ويعلن شباب ضيعة نجلا وصول العريس فيحيونهم ويتقدموا لاستقبالهم فاتحين الأبواب مرحبين ومهللين بينما يهتف مرافقو العريس:

- حيّا الله

- يا هوه ..

- عريسنا يا زينة كل المحاضر

- هاي

وتبدأ زفّة العريس بتقدم الموكب وعلى رأسه شاهين السعيد بعرس نجلا وبالعريس (عبدو) صديقه وابن قريته مؤدياً مع المجموعة أغنية (طلّعي درجة درجة) وبقالب المارش البطيء أيضاً:

شاهين: طلّعي درجة درجة .. تا نوصلُ عَ الدار
جوقة العريس: طلّعي درجة درجة .. تا نوصلُ عَ الدار

..

شاهين: دارك يا حلوة مرجة .. فيه الحب زرار
جوقة العريس: طلّعي درجة درجة .. تا نوصلُ عَ الدار
شاهين: فرجة فستانك فرجة .. فرجة هالزئار
جوقة العريس: طلّعي درجة درجة .. تا نوصلُ عَ الدار
شاهين: يا حلوة كرجة كرجة .. كرجة الصيادة كتار
جوقة العريس: طلّعي درجة درجة .. تا نوصلُ عَ الدار
شاهين: خلينا بهالليل نهلّ .. نَقْطُفُ ورد نللم فلّ
جوقة العريس: خلينا بهالليل نغلّ .. نَقْطُفُ ورد نللم فلّ
شاهين: بلكي شي نجمة بتطلّ .. بتاخذنا مشوار
جوقة العريس: طلّعي درجة درجة .. تا نوصلُ عَ الدار
شاهين: طلّعي درجة ودرجة .. تا نوصلُ عَ الدار
جوقة العريس: طلّعي درجة درجة .. تا نوصلُ عَ الدار
إعادة ..

ثم تبدأ نساء أهل العروس بالهلهيل التفاخرية (إي ويها ..)
يتبعها إنشاد إعلاني لأهل العريس:

نحننا جينا // من ضيعتنا // جينا لضيعتك // ناخذ عروستكن
جوقة أهل العروس:

أهلا وسهلا // عروستا // ناظرة مجيتكن // تا تروح لضيعتك

...

سبع: البنيّات عَمَطَطَع والشيبية عمتجمّع

حطّو هالقيمة بالأرض .. تانقيما والضيعة تقشع

مُقَدِّمة الحفلة من أهل العروس:

شلحة الحرير // ومحرمة الحرير // للشب القوي //

البيقيم القيمة // وبيخلي هالعرس يصير
يا أهل العريس منشلح القيمة بالأرض
وان قمتوها هالعرس بيتمّ والزينة بتعم
والشب اللي أقوى الكل القلوب بتهديه
شلة الحرير ومحرمة الحرير

هذه المقدمة دعوة للعريس (عبدو) لامتحان قوته ..

سبع، الذي يعرف كم هي ثقيلة تلك القيمة التي اعتمد تدبيرها في خطة لإيقاف العرس نكاية بالعريس (الغريب)، متأكد بأن عبدو، وقد خبر قوته سابقاً في قيمة أخف وزناً، سيفشل وستنجح خطته الخبيثة.

في العديد من المسرحيات الرحبانية يأخذ فيلمون (سبع) ومنصور (مخول) أدوار التهريج أو التخريب. ومما يشهد على التواضع لدى منصور الرحباني أنه كان يمثل دوماً أدواراً صغيرة ثانوية في الأعمال التي ألف حواراتها وقصائدها وأغانيها واشترك في وضع ألحانها ضارباً مثلاً بندر تكراره في التواضع ونكران الذات ومبادئ العمل الجماعي وفي الإخلاص لجوهر العمل الإبداعي. وإضافة إلى هذه الحقيقة فإن الرحبانيين كانوا حريصين على فسح المجال للآخرين ممن يود إظهار قدراته الشعرية أو الموسيقية من الممثلين للمساهمة بكتابة كلمات بعض الأغاني أو تلحين بعضها الآخر.

سبع مملحاً ومتستراً على فعلته: ما شا الله ما شا الله .. ما شا الله .. بيقيم القلعة !!

أهل العروس: قَرَّبْ يا عبدو قيما

أهل العريس: يا الله يا عبدو يا الله

- قَرَّبْ قيما

- قَرَّبْ قيما

- يا الله يا عبدو يا الله

- يا الله يا عبدو يا الله

يقترّب عبدو فيما تتوجه إليه الأنظار والجميع، ماعدا سبع ومخول، يأملون بقدرته على رفعها إرضاءً لشروط العرس والفرح. لم يتردد سبع بإبداء علانم الشك وابتسامة ساخرة على وجهه الحسود.

ويفشل عبدو فوراً .. فلم يكن له من الهمة والقدرة ما يمكنه من تنفيذ المطلوب، ربما لأنه أطال السهرة ليلة الأمس في بيته مع أصدقائه وأهله تغمرهم السعادة والفرح فلم ينل من الراحة القسط الكافي:

- شو يا عبدو؟

- تعبان .. تعبان شوي

- شو يا عبدو!؟

وهنا يطلب أهله تأجيل العرس لليوم التالي فيرفض أهل العريس وتعلو صرخات الاحتجاج وخاصة من سبع ومخول (ما بِنْتَأَجِّل) وأهل العروس من جهة، وأهل العريس (بِدُو بِنْتَأَجِّل) من جهة ثانية، لولا التدخل الإيجابي للمختار، فهو ساحة الأمل عندما تضيق الصدور:

- يا أهل الضيعة .. عبدو طالب فرصة لبكره ..

ليش نخلي نجلا تروح بلا عرس وفي بقلبا جروح

خلينا لبكره يمكن عبدو ينجح .. ومُتَعْمَلها سكرة وبُها العرس منفرح

شباب من أهل العريس: بئجرب بكرة يا عبدو

عبدو: بَجْرَبْ بكرة

أهل العروس: خلو العرس لبكره

المختار: ومنعزممكن ترتاحو بهالليلة عِنَّا

أهلا وسهلا وبكره منفرح ومنثنها

وهنا تختلط المشاعر وتتلون الوجوه، ما عدا سبع ومخول فقد ملأتْ علانم المقت وجهيهما، بألوان امتزجت فيها الخيبة ببقايا الأمل في ألا تضيق فرحتهم وتحضيرهم سدىً فيُقضى الأمر بلا عرس تفرح به القلوب وتسد به حلوة الضيعة نجلا التي تمنها لنفسه كل واحد من الشبان وهاهي تتعرض للإحباط والخوف مما يخبئه الغد:

يغادر الجميع باحة المنزل والأوركسترا تعزف والحن الحزين بقالب مارش الخروج البطيء بينما تبقى نجلا قريبة من القيمة تنظر إليها بحزن وحقد عليها:

تَقِيلَة !! تَقِيلَة كثير إنتي شو تَقِيلَة .. لو كنتي تحسي ع القليلة

وتكوني أخف شوي كنتي .. تركتيني أنا روح بسبيلي

....

قوليلي شو عملتلك قوليلي .. يا تَقِيلَة

ينقضي الليل ويأتي الصباح نهراً جديداً بكليته.. أملُ نجلا وعبو وأهل العروسين كبيراً وأمنياتهم بتحقيق الفرح تملأ وجوههم دون أن يزول نهائياً الخوف الدفين .. فقوانين الضيعة لن تسمح بإقامة فرح العرس إن فشل عبو بشيّل القَيْمة ومن المستبعد أن يستطيع أحد من جماعته القيام بالمهمة عنه فهو أقواهم وأصلبهم عوداً. يا لهذه القيمة الثقيلة اللعينة!

يتوافد الناس إلى باحة بيت نجلا، حيث تقبع في وسطه وسيلة الاختبار، على لحن جميل ناعم متموج يلائم حركة القادمين من أطراف الضيعة بعد أن أزال الليل عكر المزاج وبعث الصباح بشمس جديدة أملاً في النفوس عبرت عنه موسيقا التوافد بلحنه المشابه إلى حد كبير اللحن الذي يتجمع معه المنتزهون السعداء في ألغرو الحركة الرابعة من السيمفونية السادسة (الريفية) للموسيقار العظيم لودفيغ فان بيتهوفن (Merry gathering of the country folk).

اقتباساتُ الرحابنة من روائع الأعمال الموسيقية العالمية عامة والأوروبية على وجه الخصوص طبع عدداً كبيراً من ألحان أغانيهم أو المقاطع أو الفواصل الموسيقية الحرة. وقد كان لهذا الاقتباس الناجح أثره على منح الألحان والأعمال الرحبانية صفة العالمية وخاصة ما أبدعه ضمن إطار مشابه للموسيقار الكبير ذي المكانة العالمية الأستاذ الياس الرحباني. أما على صعيد الجمهور الرحباني فقد لاقت هذه المنهجية إقبالاً وترحيباً تهيأ معه المستمع الرحباني العارف للموسيقا الكلاسيكية والرومانسية الأوروبية لسماع الألحان الجديدة المليئة بالجمل الموسيقية التي تذكره بالأحان أساسية ونوتات تميزت بها أعمال الخالدين من أساطين الموسيقا العالمية.

ويتجمع جمهور العرس وقد تركزت أشعة متقابلة صادرة عن عشرات العيون المترقبة والمتأملّة بينما يتقدم المختار، سيد الضيعة:

المختار: هايدي آخر فرصة

بنقيموها منعمل عرس .. ما بنقيموها بتروح

نجلا وبقلبا غصّة

ويرد أهل العروس:

آخر فرصة .. آخر فرصة !!

قربّ يا عبو قربّ // لا تخلي نجلا تترك أهلا وفي بقلبا غصّة تندهلا

شاهين: خلينا ناخذها بعرس .. ورقصة كيف وع مهلا

قربّ يا عبو قربّ .. كرمالك نجلا

الجميع: قَرَّب .. ياعبدو .. قَرَّب ..

كرمالكُ نجلا .. كرمالكُ نجلا

إي ياعبدو .. هي يا عبدو .. هي يا عبدو ..

ترتفع الأصوات ويزداد التحملق وشدُّ الشباب على أسنانهم وكأنهم يودون لو يأكلوا من القيمة نصفها تسهياً على عبدو وقد بدأت أصواتهم تتخامد وتتهادى كلما خفَّ تسارع الحجر وهو يرتفع بصعوبة بالغة بين يدي عبدو بينما انحنت جذوعهم توجُّساً.. لو كان بإمكان سواعد هؤلاء القدرة على إرسال بعض طاقاتها لتضاف إلى ساعدي عبدو لما قصرُوا .. ويتهاوى الحجر قبل أن يصل به العريس المسكين إلى صدره ويصرخ الجمع بتعجبٍ وأسفٍ وخيبة:

- له له له !!!

يطأطيء الفتيان من أهل العريس رؤوسهم وتزداد انحناءة أجسادهم بينما يصرخ أهل نجلا بحمق وتساؤل:

- ما في معكن مين يقيما؟

المختار لا يجب أن يسمح بالانفعال أن يحدَّ من حكمته ورويته وهو بأمس الحاجة الآن لرباطة الجأش والشجاعة، فالأمر تعقد ولا بدَّ من حل يرضي الجميع، وحتى أهل العروس هنا يتركون للمختار الكلام واقتراح الحل.

إذا فلنبداً بالتفاوض مع أهل العريس على انفراد:

- نجلا .. نحنا بدنا نبقى هون .. روعي وحدك

نجلا، التي توجهت خارج الساحة خائبة كارهة حظها المتعثر وهي تردد بلحن حزين (وحدى .. بروح .. لا زلاغيط العرس .. لا غنائي .. ولا جرّة مليانة) لم تكن، مثلها مثل جميع الحاضرين، تتوقع المفاجأة الكبرى التي حولت بعد لحظات الحزن إلى فرح وأعدت إلى الضيعة بهجتها وسعادتها بنجلا، حلوة الحلوات .. وعرسها الكبير المنتظر والذي يعني الكثير بالنسبة لأهلها ولجميع أبناء وبنات الضيعة وهم ينتظرون لها السعادة.

ولكنه الحب .. سيدُّ الحاضرين ونصير، الطيبين يأبى أبطاله الإذعان والاعتناع بأن يصبح الفشل والخيبة مصيراً وقدراً محتوماً، وهم الذين عاهدوا الحب بالإخلاص والتضحية انتصاراً له ولمن يحبون!

فالعاشق المرفوض مرهج، وقد جعل الحب منه بطلاً تغلب في داخله الإنسان المخلص المضحي على الشخص المنبوذ المتشفي السعيد لفشل غريمه عبدو، لم يستطع، وهو الذي تسلل سراً إلى الساحة ليراقب من خلف الأشجار عرس حبيبته نجلا، التي رفضته لكونه صعلوكاً لا ينسجم

مجتمع الضيعة مع شخصيته وحياته المتشردة الخارجة عن تقاليد الضيعة وأهلها .. هذا العاشق الصادق، والذي منحه الطبيعة التي التصق بها وحياة البراري التي عاشها قوة بدنية تفاخر بها وتميز عن الآخرين، وجد فرصته الذهبية في فشل عبود، وربما لم يكن يتمنى له هذا الفشل، كي يظهر فروسيته لحبيبتة التي سحرته منذ طفولتها وبقيت في عينيه إلهةً للجمال والحب وهي تنمو ومعها ينمو حلمه بأن تكون له يوماً ما..

ولا عجب أن يثير تقدمه من خلف الساحة دونما توقع من أحد ليقول (يا شباب وقفو شوي !!) استغراباً ودهشة الحضور .. فهم لا يتوقعون منه موقفاً رجولياً من هذا النوع فهو ببساطة الإنسان المنبوذ المهمّش الذي لا يبادل أهل الضيعة، وخاصة بناتها المودة والانسجام وهو ليس معنياً بأفراحهم ومناسباتهم .. ومن هو عبود بالنسبة إليه كي يتطوع لحل إشكالية فشله وحيرة أهل العروس الذين ضاع سدىً حماسهم وتشجيعهم وإعطاؤهم لعبود الفرصة الثانية.

الضيعة التي رفضت مرهج القلاعي طيلة حياته البرية (مربى الحراج السود – ابن القلاعي) ليس لها الآن أن ترفض عرضه المنفذ الذي أعاد للعرس حقيقته ولأهل الضيعة بهجتهم مكملاً نجاح موسم العز وحافظاً له قدسيته.

- يا شباب .. وقفو شوي .. أنا بدي شيل مع أهل العريس

- إنت يا مرهج !؟

- أنا بدي شيل مع أهل العريس

- ليش يا مرهج !؟

وببيدين قويتين وشجاعة يتقدم البطل العاشق الصادق ويحمل (القيمة) إلى الأعلى مثبتاً عهده على تبني عرس نجلا وعبود وما يلي ذلك من الترامات حمايتهما ودعمهما حاضراً ومستقبلاً:

- ليش !؟ ..

ليش تَخَلِّي العرس مائو عرس ..

ثروح نجلا .. حلوة الحلوات .. بلا رقص .. بلا زينات

ولا نجبلها تشاكيل قطف الشمس !!

لا تدمعي نجلا .. ما بتطلعي من هون إلا و عميلا عرسك عهاكون !!

صيحات الفرح يطلقها الحضور مشيدين بشهامة الرجل وقد أعادت مبادرته الكريمة للعرس بهجته وللعروسين سعادتهما. نجلا لن تنسى، بعد هذا الموقف الفروسي النبيل من مرهج، القوة الإنسانية في الحب .. تلك القوة التي تغلبت على الخطة السرية لسبع ومخول وحولت الصياد العاشق في نظر الضيعة إلى بطل أنفذ الموقف ولو على حساب مشاعر الحب.

- صحايف
- صحايف مين
- صحايف هالعرس الحلو
- هأي

هنا تنطلق موسيقا لحن رقصة السيف والترس بينما يقفز إلى الساحة بحيوية تؤكد زوال حالة الحزن والعودة إلى العرس وطقوسه يرافق الراقصين أغنية السيف والترس تقدمها المجموعة بينما يُضيف إيقاع التصفيق المنغمّ جمالاً وحيوية وإحساساً بالمشاركة وجماعية الأداء وسيطرة حالة الفرح:

هاتو السيف وهاتو الترس .. وردُّو يا صحابى عليّ
هاتو السيف وهاتو الترس .. وردُّو يا صحابى عليّ
يا عرس النما متلك عرس .. غناني ورقص وكيفية
هاتو السيف وهاتو الترس .. وردُّو يا صحابى عليّ

ويتخلق الجمع، ومرهج القلاعي معهم، حول راقصي السيف والترس وكلُّهم حيوية ونشاط وابتهاج يرددون عبارات الإعجاب بالراقصين وأهازيج التشجيع .. ثم نعود إلى التحيات:

- صحايف
- صحايف مين
- صحايف الدار .. أهل الدار .. والزوار
- جوقة أهل العريس: محبة محبة محبتكن .. يا أهلا وسهلا بطلتكن
ضيعتنا صارت ضيعتكن و محبة محبة محبة
- تكرار ..

يطلع المختار بعدها بأغنية جميلة من نمط التراث البدوي يبدأها بموأل ثم تصاحبها دبكة فرحة سريعة وحيوية:

لا مثلها في حدا ولا مثل دارا دار .. هبّ النسيم الطّري ع زهورها ومال
يا حلوة اللي القمر ولف لحماكي وجار .. مشتاقلا العين بس القلب ما يطال
الجوقة: لاللاه لالا لاللاه لالا لالا لالا لالا
قتالة عيون الهوا قتالة (2)
المختار: لاللاه لالا لاللاه لالا لالا لالا لالا
قتالة عيون الهوا قتالة
جوقة النساء: لاللاه لالا لاللاه لالا لالا لالا لالا

قَتَّالَةَ عَيونِ الهوا قَتَّالَةَ

جوقة الرجال: لالاله لالا لالاله لالا لاله لاله

قَتَّالَةَ عَيونِ الهوا قَتَّالَةَ

المختار: طير يا الطائر صوب البيت العالي

خبَّرهنْ أنو حَبْنُ عَ بالي

طير يا الطائر سلِّم عَ الغوالي

وقلَّنْ أيامَ الهنا شِيَّالَةَ

الجوقة: لالاله لالا لالاله لالا لاله لاله

قَتَّالَةَ عَيونِ الهوا قَتَّالَةَ

القصب منفرداً ينعمُّ اللحن مع الدبكة وإيقاعات خبط الأرجل ونعود إلى الجوقة:

الجوقة: لالاله لالا لالاله لالا لاله لاله

قَتَّالَةَ عَيونِ الهوا قَتَّالَةَ

المختار: جيت لـ داركُ زور الورد وشمُّو

قالو ويلك بعدو الورد على مَّو

ووردُ خدودك حن وطايب لمُّو

ومِيَّالَةَ زهور اللينكن مِيَّالَةَ

الجوقة: لالاله لالا لالاله لالا لاله لاله

قَتَّالَةَ عَيونِ الهوا قَتَّالَةَ

المختار: ريم الورد ترمي القلب عيونو

وسحر الليل مكحلُّ ريف جفونو

وشعرك تارك للنسَمات جنونو

وعيونك تحكي عيون الغزالة

الجوقة: لالاله لالا لالاله لالا لاله لاله

قَتَّالَةَ عَيونِ الهوا قَتَّالَةَ (2)

هذه الأغنية من أجمل أغاني الغزل المصاحب للدبكة وهي محببة كثيراً لدى عاشقي ونجوم الدبكة الشعبية وتكاد لا تخلو سهرة فرح أو عرس منها .. وقد تقصد المخرج والرحبانيان تركها إلى الجزء النهائي من المسرحية لحيويتها الشديدة ورقة كلماتها التي وجَّهها المختار هديةً للعروس نجلا وهي تترك القرية.

الفرح الذي فرض نفسه بفضل الحب، حباً مرهجاً لنجلاً وحب الضيعة لخلوة الحلوات أيضاً ولّد عند سبع ومخول حالة من الأسف والخجل مما حدا بسبع لتقديم أغنية كوميدية قصيرة على سبيل الاعتذار أكد الحوار بينه وبين الجوقة فيها رفض الضيعة لسبع وهو (الشاب المليح):

- ريدوني

- ما منريك

- شاب منيخ

- الله يزيدك

والتي يخلص فيها إلى أنّ (كل البلا من النسوان)

وتترك الجوقة سبع ومزاحه الثقيل لتنتقل بسلاسة إلى الفرع الحقيقي بالعريسين وتكرار الترحيب بأهل العريس:

محبّة محبّة محبّتك .. يا أهلاً وسهلاً بطلتكن

ضيعتنا صارت ضيعتكن و محبّة محبّة محبّة

لتنطلق بعدها الشحرورة صباح بموال فولكلوري من أجمل قصائد العنابا ملوثة الحفل بصوتها المعجزة وما يخلقه من سحر يطير بالمستمعين إلى الفضاء البعيد. أهل العروس سعداء بها بعد حالة من القلق خلقتها القيمة الثقيلة ولكن الفرع عاد وأصبح حقيقة ولتأكيد الفرع لا يوفر أحد فرصة للإعراب عن السعادة الفائقة .. (طيب يا عروس):

نجلا: هيهات يا بو الزلف .. عيني يا مولياً

صفصاف لا تستحي .. شلشك على الميّا

الجوقة: صفصاف لا تستحي .. شلشك على الميّا

نجلا: يا ريت فينا سوا عهد اللينا نعيدو

كرم الهوى ع الهوا ناشر عناقيدو

خوفي يمر الهوا ويوميلنا بايدو

ونشوف كرمو استوا وع دروبنا فيّا

الجوقة: صفصاف لا تستحي .. شلشك على الميّا

شاهين: أوف أوف أوف

نحننا زرنا الدنيا ع مطلنا العالي

وحقلة ترابا غني وبستانها حالي

وهنا يستخدم وديع الصافي الموهبة الصوتية العظيمة التي يتمتع به دون سواه فيؤدي تنمة البيت طبقة عالية جداً أراد فيه أن يؤكد استمرار شاهين بحبه العظيم لدار نجلا فهم أهله، والذكريات الجميلة لن ينساها طالما بقيت أغصان الصفصاف صديقةً لشلالات السواقي، فلتسمع النجوم إذًا:

يا دار بيّاً هلي

يا دار بيّاً هلي وإيام عَ بالي

صفصافها المنحني عَ مكاسر الميّا

ترنيمه للحب والوفاء وصلت الأرض بالسماء فتحرّكت مشاعر الشبيبة فتياناً وفتياتٍ تتشابك أيديهم في الدبكة بعد موال شاهين في حوارية غنائية بين شاهين ونجلا والمختار والجوقة (ياغزِيلْ ثم على دلعونا ثم على الماني عَ الماني فـ يا ظريف الطول يا بو الميجانا) بألحان متنوعة وهذا إبداع جديد من إبداعات عاصي الرحباني فقد دمج الأوف بالعتابا بالميجانا بالزجل في وصلة واحدة سخية تكريماً للقيم التصويرية .. الفرحة كبيرةً ألهمت مشاعر الجميع وأحيت روح المحبة والتآخي وثبّتت المكانة المقدسة لأهم عنصرين في حياة الناس: الحب والعمل. بعد هذه الوصلة الفائقة البهجة والحيوية نتسلل ثانيةً بمرونة رحبانية تعتمد الإيقاع بالكفين إلى لحن الترحاب والتعاهد:

محبّة محبّة محبّتك .. يا أهلا وسهلا بطلتكن

ضيعتنا صارت ضيعتك و محبّة محبّة محبّة (2)

ولحظة صمتٍ !! فالحفلة لا بد لها من نهاية والعريسان سيتوجهان الآن إلى بيتهما الجديد !! ونجلا، الحلوة التي احتضنتها الضيعة بأشجارها وأزهارها .. بقزّها وحريرها وبقلوب شبانها فكانت بالنسبة إليهم القرية والوطنَ والموسمَ والفرح كله .. ستودعهم الآن وقد اختلطت دموع الفرح بدموع الحزن للفرق .. ولتخفيف حالة الحزن أعلن أهل العروس اندماج الضيعتين .. لقد وحدتهما نجلا وأقام الفارس مرهج حفل التوأمة الوطنية مكرساً المعنى الحقيقي للحب الذي لا يكتمل ويزهر بدون الشهامة والبسالة والاستعداد للتضحية .. إنه حب الوطن!

في برهة الصمت تتبادل العيون عبارات الود الصادق عبر الفضاء الذي مازالت نسائمه تتراقص على أنغام وأصوات المحتفلين السعداء، التي تخامدت ولكنها أبقت في ذاكرتهم خميرةً طيبة لإنضاج عجائن المواسم القادمة وأفراح الأيام الآتية .. ويتقدم والد العروس، فلا بدّ من توصيةٍ أخيرة لمرحلة قد يكون فيها المر إلى جانب الحلو .. توصية تعكس بأقل ما يمكن من الكلام ثوابت البيت والضيعة والناس والحرص على نقلها للأولاد، عماد الوطن، عبر التربية الصالحة:

آخر وصية: قبل ما تزوح معو .. روح معو ..

للموت بتضلي معو ..

الماضي ، الطفولة ، أهلك .. الجيران ..
كلهن نسيان .. وغيرو ولا إنسان ..
بالفقر بتكوني معو ، وبالعز بتكوني معو ، ولما بتعصف ريح بتكوني معو
وربّي ولادك ع الرضى
بالمحبة والرضى .. بتزهر الأرض وهيك بيثعّ الفضا
زرعئ بالوعر أرز وسنديان
وقوليلهن: لبنان! .. بعد الله يعبدو لبنان!

هذه الوصية التي جاءت بالصيغة الشعرية الرقيقة سُمعت في القاعة بإصغاء تام وخشوع ألهب
مشاعر الجمهور الذي راح يصفق طويلاً وقوفاً تحية للرحابنة وللممثلين وقد انهمرت الدموع من
عيونهم.

أما الجوقة فلم تكتفِ بالوصية لنجلا الوطن .. نجلا الشعب اللبناني الحي الخلاق المبدع الغني
القوي .. وهكذا تقدم الجوقة المشحونة بمشاعر الحب والحماس مع جميع الممثلين وفرقة الدبكة
الأغنية الختامية وكأنهم يبديون أسفهم لأن المسرحية انتهت ولا بد من الخاتمة، وقد جاءت الأغنية
بصيغة حوارية هادئة ذات طابع نشيدي وراقص في آن:

الجوقة: القوي لبنان الغني لبنان الهنا والجنا بسما لبنان

القوي لبنان الغني لبنان الهنا والجنا بسما لبنان

نجلا: طلع القمر وسهر القمر وعشق القمر بسما لبنان

الجوقة: الغني لبنان القوي لبنان الهنا والجنا بسما لبنان

شاهين: طلع القمر وسهر القمر وعشق القمر بسما لبنان

الجوقة: الغني لبنان القوي لبنان الهنا والجنا بسما لبنان

جوقة الفتيات: وسعّ الليل وعمّر الدني وشرح الليل نغمو الهني

.. والمزيد من الكلمات الرقيقة عن الضيعة والناس والمحبة والجمال والفرح وعز الوطن

...

لبنان القوي لبنان الغني لبنان الحلو لبنان

الهنا والجنا بسما لبنان ...

الهنا والجنا بسما لبنان.

طوبى لصانعي الفرح وبناءة الأوطان ..